تاريخ المصحف الشريف بالمغرب

١ — الوراقة المصحفية

بقلم : الاستاذ محمد المنوني

مقدمة

من المؤكد أن كتابة المصاحف الشريفة بالمغرب الأقصى واكبت انتشار الإسلام بهذه الجهات ، غير أنه لا يزال لم يعرف — على وجه التحقيق — أعيان هذه المصاحف القديمة ، والقليل منها — جداً — هو الذى وقع الإلماع لذكره — فقط — ابتداء من أواخر القرن الرابع للهجرة . والمُعْنَى بالأمر — أولا — هو البشارى[1] عند حديثه عن أقطار الغرب الإسلامى ، وهو يقول فى هذا الصدد : « وكل مصاحفهم ودفاترهم مكتوبة فى رقوق » .

الثانى : مصحف كان عند قاضى فاس : عبد الله بن محمد بن محسود الهوارى الفاسى ، المتوفى عام ٤٠١ هـ[2] ١٠١٠ — ١٠١١ م .

الثالث : المصحف الذى يقال إنه مكتوب بخط محمد المهدى بن تومرت مؤسس دولة الموحدين ، والمتوفى عام ٥٢٤ هـ/ ١١٣٠ م ، وقد كان يصحب المواكب الموحدية خلف المصحف العثمانى[3] .

الرابع : ربعات قرآنية كانت موضوعة فى مستودع بجامع القرويين ، بفاس ، أواخر القرن السادس للهجرة[4] .

هذه هى المصاحف التى جاء التلميح للحديث عنها دون أن يقع العثور عليها لحد الآن ، ومن البديهى أن هذه ليست سوى قليل من كثير وكثير جدًا من المصاحف التى انتشرت بالمغرب الأقصى منذ الفتح الإسلامى ثم ضاعت أخبارها بضياع المصادر التى تؤرخ لهذه الفترة .

وأول ما وصل إلينا فى هذا الصدد ، هى الربعة القرآنية التى خطها بيمينه الخليفة الموحدى عمر المرتضى عام ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦[٥] م ، وسنتحدث عن الموجود منها بعد : ضمن المصاحف والربعات النموذجية .

الخطاطون والمزوقون المصحفيون :

لا يزال هؤلاء الوراقون مجهولين فيما قبل العصر الموحدى ، وفى هذا العصر نجد فى المملكة الموحدية طائفة من المصحفيين توزعوا بين المغرب والجزائر والأندلس ، وهذه زمرة منهم :

١ — أبو إسحاق إبراهيم بن فتوح بن مكحول الإشبيلى ثم الفاسى ، المتوفى نحو عام ٥٧٠ هـ/ ١١٧٤ — ١١٧٥ م ، قال عنه فى « جذوة الاقتباس[٦] » : « استوطن مدينة فاس وكان يضبط المصاحف » .

٢ — عبد الله بن حريز المعروف بابن تاخميست الفاسى ، المتوفى عام ٦٠٨ هـ/ ١٢١٢ م ، كان يكتب المصاحف الشريفة بخطه الحسن ، ويهديها للمحتاجين لها[٦] .

٣ — محمد بن عبد الله بن محمد بن على بن مفرج بن سهل الأنصارى البلنسى المعروف بابن غَطّوس ، والمتوفى حدود عام ٦١٠هـ/١٢١٣ — ١٢١٤م ، انقطع إلى كتابة المصاحف الشريفة حتى شاع عنه أنه كتب ألف نسخة من القرآن الكريم ، وكان متقدماً فى براعة خطها ، إماماً فى جودة ضبطها ،

وتنافس الناس على طبقاتهم — الملوك فمن دونهم — فيما يوجد من خطه ، وقد خلف فى ذلك أباه وأخاه وكانوا — كلهم — مثلا مضروباً فى إتقان هذه الصنعة التى اشتهروا بها [٨] .

وقد امتدت شهرة ابن غطوس المصحفية إلى الشرق العربى بواسطة أخباره ، وعن طريق بعض مصاحفه المشرقة ، وهـذا الصلاح الصفدى[٩] يعقب على ترجمته الواردة عند ابن الأبار فى التـكملة ويقول :

« قلت : أخبرنى — من لفظه — الشيخ الإمام ، الحافظ ، أبو الحسن على بن الصياد الفاسى بصفد سنة ست وعشرين وسبعمائة : أنه كان له بيت فيه آلة النسخ والرقوق وغير ذلك لايدخله أحد من أهله ، يدخله ويخلو بنفسه ، وربما قال لى : أنه كان يضع المسك فى الدواة ، وكان مصحفه لا يهديه « كذا » إلا بمائتى دينار ، وأن إنساناً جاء إليه من بلد بعيد مسافة أربعين يوما أو قال أكثر من ذلك وأخذ منه مصحفاً ، ولمـا كان بعد مدة فـكر فى أنه وضع نقطا أو ضبطا على بعض الحروف فى غير موضعه ، وأنه سافر إلى تلك البلد وأتى إلى ذلك الرجل وطلب المصحف منه ، فتوهم أنه رجع فى البيع فقال : قبضت الثمن منى وتفاصلنا ، فقال : لابد أن أراه ، فلما أتى به إليه حك ذلك الغلط وأصلحه ، وأعاده إلى صاحبه ورجع إلى بلده ، أو كما قال .

وقد رأيت أنا « يقول الصفدى » بخطه مصحفاً أو أكثر ، وهو شىء غريب من حسن الوضع ورعاية المرسوم ، ولـكل ضبط لون من الألوان لا يخـل به : فاللازورد للشـدات والجزمات ، واللك للضمات وللفتحات والـكسرات ، والأخضر للهمزات المـكسورة ، والأصفر للهمزات المفتوحة ، لا يخل بشىء من ذلك ، وليس فيه واو ولا حرف ولا كلمة فى الحاشية ولا تخريجة ، وكأنه متى فسد معه شىء أبطل تلك القائمة » .

٤ — محمد بن إبراهيم المهرى البحائى الإشبيلى الأصل نزيل مراكش ، المعروف بأبى عبد الله الأصولى ، والمتوفى عام ٦١٢ هـ / ١٢١٦ م كان يكتب المصاحف ويضبطها فيجيد[١٠] .

٥ — محمد بن محمد بن يحيى بن خشين الأندلسى الشقرى ، المتوفى حدود عام ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ — ١٢٣٣ م ، قال عنه ابن الأبار[١١] : « كان يكتب المصاحف ، ولم يكن أحد من أهل زمانه يدانيه فى المعرفة بنقطها والبصر برسمها ، مع حسن الخط والإتقان » .

٦ — الخليفة الموحدى عمر المرتضى بن السيد أبى إبراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن المتوفى عام ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م ، كتب بخط يده ربعة قرآنية كاملة فى عشرة أجزاء ، وسنتحدث عن الباقى منها بعد ، وخطه فيها مغربى مبسوط جيد الوضع والضبط ، مع كتابة خواتم الأجزاء بالخط الشرقى الثلثى ، ثم كتابة توقيعات وقفها بخط شرقى نسخى ، مما يدل على أنه كان يحسن الكتابة بالطريقتين : المغربية والمشرقية .

وإلى جانب هذه الربعة القرآنية فإن المكتبة المغربية لا تزال تحتفظ بعدد من المصاحف والأجزاء التى كتبت بالأندلس فى هذه الفترة بالذات ، ونذكر منها :

أولا : « مصحف » على رق الغزال ، كتب بمدينة بلنسية عام ٥٥٩ هـ / ١١٦٤ م ، وهو محفوظ بمكتبة المعهد العالى بتطوان .

ثانيا : « مصحف » كتب — على الرق — فى العشر الأول من رمضان عام ٥٧٣ هـ / ١١٧٨ م ، بالمكتبة الزيدانية بمكناس تحت رقم ٣٥٩٣ ، وقد صارت — أخيراً إلى المكتبة الملكية بالرباط .

ثالثاً : « مصحف » على الرق أيضاً ، بتاريخ العشر الآخر من ذى الحجة عام ٥٩٨ هـ / ١٢٠٢ م ، فى الخزانة العامة بالرباط رقم ج ٩٣٤ .

رابعاً : ربعة « قرآنية » مكتوبة على الورق بمدينة مالقة فى تجزئة عشرين جزءاً ، وقع الفراغ من كتابة الجزء الثامن منها يوم الثلاثاء ثانى صفر عام ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م ، بمكتبة ابن يوسف بمراكش رقم ٤٣٠ .

خامساً : « الجزء السادس عشر من ربعة عشرينية التجزئة » ، مكتوب على الورق — أيضاً — بمدينة إشبيلية ، فى العشر الآخر من ذى القعدة عام ٦٣٢ / ١٢٣٥ م ، بمكتبة ابن يوسف بمراكش رقم ٤٣٠ .

سادساً : « ثمانية أجزاء من ربعة عشارية التجزئة » ، مكتوبة على الورق الشاطبي ، وتحمل أدلة قوية على كتابتها بالأندلس فى نفس هذا العصر ، وهى — أيضاً — بمكتبة ابن يوسف رقم ٤٣١ ، ويلاحظ أن هذه المصاحف والأجزاء كلها خالية من أسماء كاتبيها .

وفى العصر المرينى تركزت الوراقة المصحفية بالمغرب أكثر ، وكان فى مقدمة المشتغلين بها :

٧ — السلطان أبو الحسن على بن أبى سعيد عثمان بن يعقوب المرينى المتوفى عام ٧٥٢ هـ / ١٣٥١ م ، قال ابن مرزوق فى « المسند الصحيح الحسن[١٢] » :

« كان دأب إمامنا رضى الله عنه « أبى الحسن المرينى » العكوف على نسخ كتاب الله فى الزمن الذى يخلوله من النظر فيما طوقه... وكان قد أكد عنده هذا العمل ما منحه الله تعالى من إجادة الخط المصحفى ، وكان قد أخذه عن كاتب وقته ، المنفرد بتجويد هذا الخط فى عصره « النجلى » وكان قد بلغ فيه الغاية ،

فتعلم منه أصوله حتى صار خطه يختلط بخطه ، رحمة الله عليهما » .

وبعد هذا يذكر ابن مرزوق[١٣] كتابة أبي الحسن — بخطه — لخمس ربعات قرآنية شريفة : الأولى : حبسها على مشهد شالة ، الثانية على المسجد النبوى بالمدينة المنورة ، الثالثة على المسجد الحرام بمكة المكرمة ، الرابعة : على المسجد الأقصى بالقدس الشريف عجل الله — سبحانه — بخلاصه ، وسنتبين أن هذه الرابعة لا يزال جلها موجوداً ، الخامسة : شرع فى كتابتها برسم المقام الخليلى بالقدس أيضاً فلم يتمها ثم تمم منها ابناه الاثنان :

٨ — السلطان أبو عنان فارس المتوفى عام ٧٥٩ هـ/ ١٣٥٨ م .

٩ — وبعده السلطان أبو فارس عبد العزيز الأول المتوفى عام ٧٧٤ هـ/ ١٣٧٢ م .

وهذا يدل على أن كلاً من أبى عنان وأبى فارس يجيدان الخط المصحفى ، وقد وصف ابن جزى[١٤] خط أبى عنان بالإغياء فى الحسن ، كما مدح ابن أبى حجلة[١٥] خط أبى فارس ، الذى يؤكد ابن الخطيب[١٦] اشتغاله بانتساخ القرآن الكريم .

١٠ — محمد بن أحمد الجحى المراكشى المعروف بابن شاطر ، كان بقيد الحياة عام ٧٦٥ هـ/ ١٣٥٥—١٣٥٦ م ، ودأب فى منتسخاته المصحفية وغيرها على أن لا يغلق حرفاً مجوفاً ، حتى إذا غلب على ذلك بادر لإصلاحه[١٧] .

١١ — أحمد بن محمد بن حسن النفزى الرندى الأصل ثم الفاسى ، المعروف بالسراج ، والمتوفى عام ٧٥٩ هـ/ ١٣٥٧ — ١٣٥٨ م ، وهو والد يحيى السراج الإمام الشهير ، وكان مصحفيًا مكثراً ، كتب بخطه نحو ٣٠٠ مصحف شريف[١٨] .

١٢ — محمد بن محمد بن عنون الأصيلى ثم الفاسى ، صاحب القلم الأعلى ، كان بقيد الحياة عام ٩٤٩ هـ/ ١٥٤٢ م ، وكتب — بخطه الجميل — ربعة قرآنية من ٣٠ جزءا ، وقد ورد ذكر اسمه محلى بالكاتب فى فهرسة التنجور(١٩) ، أما الربعة الكريمة فقد بقى منها ١٥ جزءا فى خزانة القرويين بفاس .

١٣ — السلطان أبو العباس أحمد بن محمد بن أبى عبد الله محمد الشيخ رابع سلاطين بنى وطاس ، والمتوفى عام ٩٦١ هـ/ ١٥٥٣ — ٥٤ م ، كتب بخطه ربعة قرءانية كريمة سنتحدث عنها بعد عند الربعة رقم ٤ ، وقد كان فى خطه كابن مقلة فى زمنه .

وسيكون هذا ، آخر الوراقين السبعة الذين تقدمهم هذه الدراسة كنماذج للمصحفيين فى الفترة المرينية والوطاسية ، وإلى جانب هؤلاء كان يوجد مذهبون ومزوقون للمصاحف ، وقد جاء الإلماع إلى زمرة منهم فى «العبر(٢١)» عند الحديث عن ربعة قرءانية كتبها — بخطه — السلطان أبو الحسن المرينى . حيث يقول ابن خلدون عن هذا السلطان ، « وجمع الوراقين لمعاناة تذهيبها وتنميقها » ، وهكذا نستفيد وجود طائفة من هؤلاء أثناء الفترة المرينية غير أننا لا نزال لم نعرف أسماءهم .

وقد انتعشت هذه المهنة صدر دولة السعديين ، حيث لمع خطاطون مصحفيون لم نقف على أسماء كثير منهم وإنما يعرفون من خلال منتسخاتهم الممثلة فى المصاحف السعدية الأربعة التى سنستعرضها بعد ، وسيتبين أنها طبقة عالية فى جمال الخط ، وجودة الضبط ، وبراعة الزخرفة ، وممن عانى هذه الوراقة فى نفس الفترة :

١٤ — محمد بن على العربى الأندلسى ثم الفاسى ، المتوفى عام ٩٧٥ هـ/ ١٥٦٧ م ، قال عنه المنجور(٢٢) : « وكان له خط رائق ، ونسخ نسخا عديدة من كتاب الله — عز وجل — للسلاطين وغيرهم ، والناس يتغالون فى نسخه » ، وكان — حسب نفس المصدر — يقصد بتصحيح نسخ القرآن الكريم من حيث المتن والرسم والضبط ، هو :

١٥ — وأبو عبد الله محمد بن مجبر المسارى الفاسى ، المتوفى عام ٩٨٣ هـ/ ١٥٧٥ — ١٥٧٦ م .

١٦ — عبد الله بن عبد الرزاق بن عبد العظيم العثمانى مستوطن فاس ، والمتوفى عام ١٠٢٧ هـ/ ١٦١٨ م ، وقد كتب بخطه ما ينيف على ٧٠ مصحفا شريفا(٢٣) .

وتفتتح لائحة العصر العلوى باسم سيدة فاسية خطت بيدها مصاحف كثيرة ، وهى :

١٧ — فاطمة بنت على بن محمد الزبادى المنالى الحسنى المتوفاة عام ١١٤٢ هـ/ ١٧٣٠ م ، فقد كتبت بخطها الجميل مايربو عن ٣٥ مصحفا شريفا(٢٤) ، وستنضاف لها — بعد قليل — سيدة مغربية أخرى .

١٨ — أبو العباس أحمد المزدغى الفاسى ، المتوفى عام ١١٧٨هـ/١٧٦٤— ١٧٦٥ م ، كان يشتغل بنسخ المصاحف وغيرها فى دكانه بسوق العطارين من فاس القرويين(٢٥) .

١٩ — محمد « فتحا » بن على بن محمد الزبادى المنالى الحسنى الفاسى ، المتوفى عام ١٢٠٩ هـ/ ١٧٩٤ ، وهو شقيق فاطمة الآنفة الذكر ، كتب بخطه مصاحف كثيرة وغيرها(٢٦) .

٢٠ — عائشة بنت الحاج مبارك الشلخ التـكى ، يوجد بخطها مصحف شريف كتبته عام ١٢٣٧ هـ/ ١٨٢١ — ١٨٢٢ م ، وخطها مغربى بدوى واضح متوسط مشكول ملون ، يوجد هذا المصحف بالمكتبة الملكية بالرباط تحت رقم ٤٢٢٥ .

٢١ — الحاج المعطى التاذلى الفاسى ، المتوفى عام ١٢٦٢ هـ/ ١٨٤٦ م ، كتب بخطه ٥٠٠ مصحف شريف وكان له خط جيد(٢٧) .

٢٢ — محمد بن أبى القاسم القدوسى ثم الفاسى ، والمتوفى عام ١٢٧٨ هـ/ ١٨٦١ م ، قال فى ترجمته من « سلوة الأنفاس(٢٨) : « وكان له خط حسن جيد ، كتب به عدة من الدلائل ، وأخبرت أنه كتب مصحفا فى اثنى عشر مجلدا قل أن يوجد نظيره فى الدنيا » وسنتحدث بعد : عن هذا المصحف الذى لا يزال بقيد الوجود .

٢٣ — محمد بن عبد القادر التاذلى الرباطى ، تاريخ وفاته غير مضبوط ، وهو والد أبى إسحاق التاذلى شيخ الجماعة بالرباط ، الذى يذكر(٢٩) عنه أنه كان يضرب المثل بخطه فى الإتقان ، وجل منتسخاته هى المصاحف الشريفة ودلائل الخيرات للجزولى .

٢٤ — محمد بن الحاج محمد الريفى التمسمانى الصويرى الاستيطان ، المتوفى — بطنجة — عام ١٣١٣ هـ/ ١٨٩٥ — ١٨٩٦ م كان له خط حسن ينسخ به المصاحف وغيرها ، ويكتبها بخط دقيق على ورق رقيق ، فينجز منتسخاته فى حجم صغير جدا ، يسعه داخل اليد (٣٠) .

٢٥ — محمد البهالى المستارى من دوارلاوة : فرقة بنى يزل ، توفى صدد هذه المائة الجارية : ١٤ هـ ، وكان خطاطا مصحفيا كتب مصاحف شريفة عديدة .

وهؤلاء أربعة خطاطون مطبعيون كتبوا بخطوطهم الجيدة بضعة مصاحف كريمة وخامسهم قام بزخرفة أحد هذه المصاحف وهم :

٢٦ — الفاطمى بن إبراهيم بن الطالب بن سودة المرى الفاسى ، المتوفى عام ١٣١٨ هـ/ ١٩٠٠ م ، كتب — بخطه — مصحفين شريفين نشرا بالمطبعة الفاسية عامى : ١٣٠٩ و ١٣١١ هـ(٣١) .

٢٧ — أبو حفص عمر بن عبد الرحمن بن عبد الواحد بن سودة ، كاتب المصحف الشريف المنشور بنفس المطبعة عام ١٣١٣ هـ(٣٢) .

٢٨ — الوافى بن إبراهيم بن سودة أخ الفاطمى آنف الذكر ، يوجد بخطه المصحف الشريف الذى كتبه برسم نفس المطبعة عام ١٣٣٢ هـ .

٢٩ — محمد بن الغالى العلمى الحسنى الفاسى ، وهو مُصحح المصحف الأخير ، والغالب أنه هو — أيضا راقم ما طبع به من الزخرفة الجميلة فى بدايته ونهايته وعند أوائل الأرباع القرآنية ، ومن المعروف أنه كان بارعا فى زخرفة الكتب .

٣٠ — أحمد بن الحسن زويتن الفاسى ، المتوفى فى ٢٠ ربيع الثانى عام ١٣٨١ هـ/ ١ أكتوبر ١٩٦١ م عن ٧٥ عاما ، وهو كاتب المصحف الشريف المطبوع — على الحجر — بمصر ، بعناية الحاج محمد المهدى الحبابى ومحمد الحبابى الفاسيين عام ١٣٤٧ هـ/ ١٩٢٩ م وقد أعيد طبعه — بنفس الخط — عام ١٣٤٩ هـ ، وسنعود للحديث عنه بأوسع مما هنا ، ثم كتب — بخطه — مصحفا شريفا ثانيا برسم مكتبة الحاج عبد السلام بن شقرون بالقاهرة ، حيث طبع بها على الحجر أكثر من مرة . وقد صارت هذه المصاحف المكتوبة بخطه هى المتداولة — أكثر — بالمغرب .

الكتابة والزخرفة المصحفية :

يبدو أن كتابة المصاحف المغربية الأولى كانت — فى الأكثر — توافق رسم قراءة الإمام حمزة ، التى كانت تغلب على أقطار المغرب ،

ثم استقرت على قراءة الإمام نافع(٣٣) من رواية تلميذه ورش ، والغالب أن هذه المصاحف الأولى كانت بالخط الكوفى الذى كان شائعا فى الكتابة المغربية آنذاك(٣٤) .

أما المصاحف والأجزاء المغربية المعروفة ، فأغلب القديم منها مكتوب بخط أندلسى أو مغربى ، وأكثرها بحروف عريضة ، وخطوط مبسوطة جيدة ، وقد تشدد المغاربة فى التزام قواعد الرسم العثمانى ، واستنكروا كتابة المصحف الشريف حسب القواعد العامة للإملاء ، وفى هذا يقول فى المدخل(٣٥) فى صدد آداب ناسخ القرآن الكريم :

« ويتعين عليه أن يترك ما أحدثه بعض الناس فى هذا الزمان ، وهو أن ينسخ الختمة على غير مرسوم المصحف الذى اجتمعت عليه الأمة على ما وجدته بخط عثمان بن عفان رضى الله عنه » .

وكانت الكتابة فى الغالب — بالحبر الأسود الحالك أو الباهت قليلا ، أو بمحلول قشر الجوز ، وقد يصنع الحبر من مادة عطرة ، مثل الواقع فى مصحفى أبى الحسن المرينى بالقدس وأبى العباس المنصور السعدى بالاسكوريال ، حيث كان مداد الأول من فتيت المسك وعطر الورد ، وربما أضيف لهما فى بعض الأحايين الزعفران الشعرى ، بينما أقيم مداد المصحف السعدى من فائق العنبر ، المتعاهد السقى بالعبير المحلوك بمياه الورد والزهر(٣٦) .

أما الشكل فكان — فى الغالب — يلتزم الألوان التى يوصى بها أبو عمرو الدانى الذى يقول معبرا عن الشكل بالنقط :

« وأرى أن أستعمل النقط نونين : الحمرة والصفرة ، فتكون الحمرة للحركات والتنوين والتشديد والتخفيف والسكون والوصل والمدة وتكون

الصفرة للهمزة خاصة ، قال : وعلى ذلك مصاحف أهل المدينة ، ثم قال : وإن استعملت الخضرة للابتداء بألفات الوصل على ما أحدثه أهل بلدنا فلا أرى بذلك بأسا ، قال : ولا أستجيز النقط بالسواد لما فى ذلك من التغيير لصورة الرسم[٣٧] » .

وعلى هذه الطريقة جرى شكل أكثر المصاحف المغربية القديمة : الموحدية والمرينية والسعدية ، مع إضافة لونين جديدين ، حيث يرسم التشديد والسكون الحى بلون الزرقة فى الأكثر ، أو بلون الخضرة .

وقد كانت بعض المصاحف المغربية يتخلل كتابة القرآن الكريم فيها مزج بخط دقيق عقب كل طائفة من الآيات ، لبيان كيفية رسم تلك الآيات ، مع بيان الهجاء حسب رسم المصحف العثمانى ، ويوجد — على هذه الصفة جزءان قرآنيان مختلفان ، وهما — معا — بخزانة القرويين بفاس ، مع التنصيص فى أحدهما — الذى يحمل رقم ٨٢٦ / ٤٠ — على ما اتفقت عليه مصاحف الصحابة وما اختلفت فيه من ناحية الرسم ، بينما ثبت على الثانى — وهو الذى يحمل رقم ٨٧٧ / ٨٠ — الإشارة إلى أنه من تحبيس الحاجب أبى العباس القبائلى نيابة عن سلطانه على جامع الأندلس بفاس[٣٨] .

وهناك مصاحف مغربية أخرى رسم بين سطورها أو بهوامشها — بلون مغاير — رموز إحدى القراءات السبع أو كلها ، ولا يتعدى المعروف منها — لحد الآن — العصر العلوى .

وابتداء من أوائل القرن العاشر للهجرة حدث فى المصحف المغربى وقوف جديدة من اختيار محمد بن أبى جمعة الهبطى الصمانى ، المتوفى — بفاس — عام[٣٩] ٩٣٠ هـ / ١٥٢٣ — ١٥٢٤ .

وكثير من المصاحف المغربية تتخلل كتابتها فواصل تشير إلى الآيات والسجدات والسور والأحزاب وأجزائها ، وتزيد بعض المصاحف على هذا بفواصلَ أخرى تشير إلى الأخماس والأعشار : « كل خمس أو عشر آيات » ، وإلى الأسباع التى تقسم القرآن الكريم إلى سبعة أقسام ، بالنسبة لمن يعتاد الختم أسبوعيا ، وبعض المصاحف السعدية تضيف تجزئة أخرى إلى سبعة وعشرين قسما ، اعتباراً بابتداء تلاوة المصحف الشريف أول يوم من رمضان ، وختمه يوم السابع والعشرين منه .

وقد تفنن عدد من وراقى المصاحف المغربية ، فى زخرفة وتذهيب وتلوين هذه الفواصل كلها أو بعضها ، خلال الكتابة وعلى الهوامش ، مع تنويع الزخارف واختيار الألوان المناسبة ، وفى بعض الصفحات تأتى أكثر من مناسبة لزخرفة الهوامش ، فتبدو مرصعة من أعلاها إلى أسفلها بالتراجم المتلاحقة والمتنوعة فى زخرفة أخاذة ، حسب الواقع فى المصاحف السعيدية الآتية الذكر ، هذا زيادة على التراجم التى تملأ لوحتين أو أكثر ، بمناسبة ابتداء المصحف الشريف واختتامه .

وإلى جانب المصاحف المجموعة فى سفر ، توجد مصاحف تفرق على أجزاء يختلف عددها حسب الغاية المتوخاة من كتابتها ، وقد جرى على هذا النوع من المصاحف اسم « الربعة » ، الذى يطلق فى الأصل على التابوت الذى توضع فيه ، قال أبو حامد الفاسى [٤٠] :

« إن المراد بالربعة صندوق مربع الشكل من خشب ، مغشى بالجلد ، ذو صفائح وحلق ، يقسم داخله بيوتا بعدد أجزاء المصحف ، يجعل فى كل بيت منه جزء من المصحف ، وإطلاقها على المصحف مجازا » .

وأخيرا : يلاحظ أن المصاحف المغربية وإن سارت فى وراقتها على تقليد المصاحف الأندلسية ، فقد أخذت تتميز عنها — حسب المصاحف المغربية المعروفة — ابتداء من الفترة المرينية ، وقد ظهر هذا — بالخصوص — فى أشكال أوضاع الخط ، وفى إغفال تنقيط الحروف الأخيرة التالية :

ن . ف . ق . ى ، كما ظهر فى التزام عدم تقطيع حروف اللفظة الواحدة بين آخر السطر وأول السطر التالى ، على عكس بعض المصاحف الأندلسية التى لا تبالى باستعمال هذا التقطيع ، الذى يفصل بين حروف اللفظ الواحد ويوزعها بين سطرين ، ومن الأجزاء القرءانية التى يظهر أنها كتبت فى العصر المرينى على الطريقة المغربية .

١ — « الربع الأول من القرآن الكريم » خ . ع ، ج ٦٦١ .

٢ — الجزء الثامن عشر ، من تجزئة ٣٠ — خ . ع ، ج ٧٣٢

٣ — الجزء السابع ، من تجزئة ٣٠ — خ . ع ك ٣٨٢

وقد كتب أصل هذا الأخير بخط أندلسى صميم ، وتمم الناقص من أوله — ٤٩ ص — بخط مقارب ، على الطريقة المغربية .

التسْفير المصحفى :

بعد كتابة المصاحف وزخرفتها ، يأتى دور تسفيرها ، وقد كان للقوم اعتناء خاص به ، وفى كتاب « التيسير فى صناعة التسفير[٤١] » — المؤلف باسم يعقوب المنصور الموحدى — يهتم مؤلفه — كثيرا — بشرح طريقة تسفير المصاحف ، ويبين العمل فى كل من نوعيها الاثنين : المصاحف السفرية ، وهى التى تسفر دون استعمال اللوح ، ثم المصاحف الملوحة ، وهو يخصص بابا على حدة لبيان عمل أقربة المصاحف : التى يقصد بها أوعية الأسفار المصحفية ، وقد

ذكر فيها ثلاثة أنواع ، ومن حسن الحظ أنه لا يزال بقيد الوجود جملة من أعيان أسفار مصحفية مصنوعة فى العصر الموحدى ، وقد درس بعضها م . ب ريكار ، مفتش الفنون المغربية ومدير متحف الآثار بفاس سابقا[٤٢] ، وهذه نماذج لبعض الاهتمامات المغربية بتسفير المصاحف .

لما استجلب لعبد المؤمن الموحدى «المصحف العثمانى» من جامع قرطبة ، احتفل فى الاعتناء بكسوته التى كانت من جلد ، فأبدلها — حسب ابن طفيل[٤٣] — بسفر من ألواح مصفحة بصفائح الذهب والفضة ، فيه صنائع من ظاهره وباطنه ، لا يشبه بعضها بعضا ، قد أدخل فيها من ألوان الزجاج الرومى مالم يعهد له مثيل ، ونظم على صفحتيه وجوانبه لآلئ نفيسة ، فيها فاخر الياقوت ونفيس الدر وعظيم الزمرد ، من أرفع ما كان عند هذا الخليفة ، ولم يزل بنوه — بعده — يتأنقون فى زيادة جليل الجواهر وفاخر الأحجار على ما كان محلى به ، حتى استوعبوا دفتيه بذلك بما لا قيمة له ولا نظير .

ثم كسا عبد المؤمن هذا السفر بصوان لطيف من السندس الأخضر ، ذى حلية عظيمة خفيفة لا تفارقه ، وصنع له محمل غريب الصنعة بديع الشكل فغشى كله بضروب من الترصيع ، وفنون من النقش البديع ، فى قطع من الآبنوس والخشب الجيد ، محاط بصنعة قد أجريت فى صفائح من الذهب ، وصنع للمحمل كرسى يوضع عليه عند الانتقال ، مرصع مثل ترصيعه ، وصنع لذلك كله تابوت يحتوى عليه ، مكعب الشكل ، سام فى الطول ، حسن المنظر ، فغشى بغلاف صنائحه من الذهب مرصع بالياقوت .

وقد أدخل فى تركيب كل من التابوت والكرسى والمحمل صناعات ميكانيكية ، ينفتح بها — تلقائيا — باب التابوت ويخرج الكرسى ويركب

المحمل عليه ، ثم كذلك الشأن فى عودة الكرسى والمحمل وانسداد الباب تلقائيا .

وكان للتابوت هودج يحمل فيه فى مقدمة المواكب الموحدية ، ويكون على أضخم بختى يوجد ، وهو — حسب ابن عبد الملك[٤٤] — عبارة عن قبة حريرية حمراء ارتفاعها نحو عشرة أشبار ، وعرض كل وجه من وجوهها الأربع نحو أربعة أشبار ، وبأعلاها جامور[٤٥] محكم الصنعة وعلى نحو جوامير الأخبية ، من أتقن ما أنت راء جمالا ، وفى أعلى كل ركن من أركان القبة عُصَيَّة رُكِّب فيها سُنَين مذهب ، وقد ربطت بها راية من حرير حمراء ، لاتزال تخفق عذباتها بأقل ريح ، ولو لم يكن إلا بهز الجمل إياها فى سيره .

وعبارة ابن صاحب الصلاة[٤٦] فى هذا الصدد : « . . . وعلى مصحف عثمان كله حمراء تصونه ، والمصحف المكرم منظم حول حفاظه بالجوهر النفيس ، والياقوت الأحمر والأصفر والأخضر الغريب ، والزمرد الأخضر العجيب ، قدجلبت أحجار الياقوت والزمرد والجوهر إلى الخليفة الأول الرضى : خليفة المهدى ، ثم لابنه أمير المومنين بن أمير المؤمنين ، ونظم بها حفاظ هذا المصحف المكرم ، وكُلِّل بها جوانبه إكليلا . . . »

ولما كتب المرتضى الموحدى الربعة القرآنية المتكررة الذكر ، وضعت — بعد تسفيرها بالجلد المزخرف بالذهب — فى تابوت أبنوس بحلية نحاس مذهبة ، طوله ثلاثة أذرع ، وله ثلاثة مقابض : واحد فى أعلاه ، واثنان فى عرضيه وأركانه معقودة من نحو الحلية ، ومغلقة كذلك من نحو الحلية المذكورة أيضا ، وعلى التابوت غشاء جلد مغالقه كلها فضة منيلة[٤٧] .

وفى العصر المرينى يتحدث فى « العبر[٤٨] » عن تسفير المصحف الذى

أستنسخه « أبو يعقوب يوسف بن يعقوب » برسم وقفه على الحرم المكى الشريف ، وهو يقول فى هذا الصدد :

« . . . وعمل غشاءه من بديع الصنعة ، واستكثر فيه من مغالق الذهب المنظم بخرزات الدر والياقوت ، وجعلت منها حصاة وسط المغلق تفوق الحصيات مقدارا وشكلا وحسنا ، واستكثر من الأصونة عليه » .

ثم يتحدث نفس المصدر[٤٩] — عن تسفير إحدى الربعات الكريمة التى خطها — بيمينه — أبو الحسن المرينى ، وفى هذا يقول :

« . . . وصنع لها وعاء مؤلفا من خشب الأبنوس والعاج والصندل . فائق الصنعة ، المرقوم أديمها بخطوط الذهب ، من فوقها غلاف الحرير والديباج ، وأغشية الكتان » .

ولا يزال بقيد الوجود أسفار مصحفية مرينية تكسو الباقى من أجزاء الربعة الشريفة التى وقفها أبو الحسن المرينى على المسجد الأقصى بالقدس الشريف « وسنتحدث عنها بعد » وقد ألمع إلى وصف هذه الأسفار باحث معاصر[٥٠] — ، وذكر أنها من جلد ناعم الملمس ، مخيط بخيوط دقيقة من الذهب والفضة ، ولها صندوق بديع الصنع ، مزين بالنقوش الفضية والميناء المختلف الألوان .

وفى ترجمة السلطان العلوى المولى عبد الله ، أنه وجه — مع ركب الحج لعام ١١٥٥ هـ — ٢٣ مصحفا شريفا بين كبير وصغير محلاة بالذهب منبتة بالدر والياقوت[٥١] .

ثم فى عام ١٢٠٢ هـ احتفل السلطان محمد الثالث العلوى فى هدية للسلطان العثمانى عبد الحميد الأول ، وكان فيها مصحف كريم محلى بالذهب ، مرصع بالألماس ، يساوى مائة ألف دينار حسب تقدير مؤلف درة السلوك[٥٢]

١ — مصاحف وربعات نموذجية

وسندرس منها ١٣ تبتدئ من أواخر العصر الموحدى حتى العصر العلوى ، وتشتمل على ما تسنى لى الوقوف على عينه أو على وصفه من المصاحف والربعات والأجزاء المخطوطة ، مع إضافة ثلاث طبعات قرآنية مغربية ممتازة .

١ — ربعة المرتضى الموحدى

كتبها — بخطه — عمر المرتضى من أواخر خلفاء الموحدين — وقد سبق ذكره سادس الخطاطين المصحفيين ، وتتألف هذه الربعة من عشرة أجزاء ، يحتوى كل جزء على ستة أحزاب ، وكانت توجد تامة بمكتبة ابن يوسف بمراكش حتى عام ١١٤٩هـ(٥٣) — ١٧٣٦م ، ثم تفرقت بعد ذلك ، والمعروف منها لحد الآن تسعة بين أجزاء كاملة وأبعاض ، مسطرة كل جزء ٩ ، ومقياسه ٢٢٠/٢٩٠ .

وهى مكتوبة — على ورق جيد — بقلم غليظ ، وخط مغربى يميل للأندلسى ، مبسوط مليح ، يضرب حبره للسواد ، مع تنويع ألوان الشكل : فمداد الالك للضمات والفتحات والكسرات والمدات ، والخضرة الباهتة للشدّات والسكون ونقط ألفات الوصل ، والصفرة الباهتة أيضا للهمزات القطعية وغيرها ، عناوين السور بالخط الكوفى داخل إطار مستطيل ، مزخرف بمحلول الذهب المرسوم بالمداد والملون بالأحمر والأزرق ، وقد طوقت هوامش الكتابة بتراجم مذهبة ملونة ومتنوعة الأشكال ، وكتب — على أرضها الحمراء — بالخط الكوفى عناوين التجزئات القرآنية المختلفة ، بالنسبة للأخماس والأعشار : « كل خمس أو عشر آيات » وبالنسبة للأحزاب والسجدات ، وفى آخر كل جزء كلمة ختامية بخط شرقى ثلثى ، مكتوب بالذهب

المصور بالمداد ،ومجدول بزخرفة ذهبية مصورة بالمداد أيضا ، وتتضمن الكتابة رقم الجزء ، وتاريخ الفراغ منه ومكان الانتساخ واسم الناسخ .

ويلاحظ أن بعض أجزاء الربعة لا يزال مكسوا بسفره الموحدى الأصلى [٥٤] ، كما يوجد على الجزئين الأول والرابع وثيقة عدلية بوقفية هذه الربعة من طرف ناسخها عصر المرتضى على جامع السقاية بمراكش « جامع على ابن يوسف » بتاريخ رجب عام ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م ، وهى مذيلة بتصحيح الوقف بتوقيع المرتضى نفسه ، المكتوب بخط شرقى نسخى [٥٥] .

ويؤخذ على كتابة هذه الربعة أنها قد يقع فيها تقطيع اللفظة الواحدة بين آخر السطر وأول السطر التالى ، وهى طريقة كانت شائعة فى بعض المصاحف الأندلسية القديمة ، وقد انتقدها القلقشندى [٥٦] — تبعا لغيره .

* * *

وهذا ما وقفت عليه — لحد الآن — من هذه الربعة ، بين أجزاء كاملة وشذرات .

العشر الأول : بمكتبة ابن يوسف بمراكش رقم ٤٣٢ ، به ٧٥ ورقة ، ووقع الفراغ من كتابته فى ٢٠ جمادى الثانية . عام ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م ، وهو قيد الإصلاح بالخزانة العامة بالرباط .

العشر الثانى : بالخزانة العامة رقم ٦٥٨ : مبتور الأول والآخر بنحو ورقتين ، ويبتدئ هكذا : « بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين » ، الآية ٩٣ من سورة آل عمران ، ثم ينتهى عند آخر الحزب ١٢ : الآية ٨٣ من سورة المائدة . به ٧٢ ورقة مرممة بنفس الخزانة ، ووقع الفراغ من كتابته يوم السبت ٢٧ جمادى الثانية عام ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م ، ولا يزال مجلدا بسفره الموحدى .

العشر الثالث : لم يبق منه بمكتبة ابن يوسف بمراكش سوى الورقة الأخيرة التى تشتمل على تاريخ الفراغ منه : يوم الأحد ٦ رجب عام ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م ، وهى موضوعة ضمن محفظة رقم $\frac{٤٣٢}{٣}$.

العشر الرابع : بمتحف الاوداية بالرباط رقم ٤٧٠١٧٥٤ ، به ٧٤ ورقة مرممة ترميما جيدا ببباريز ، ووقع الفراغ من كتابته يوم الأحد ١٣ رجب عام ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م ولا يزال موضوعا فى سفره الموحدى .

العشر الخامس : توجد قطعة مهمة منه بمكتبة ابن يوسف بمراكش رقم ٤٣٢ ، وتبتدئ هكذا : « أفئدة من الناس تهوى إليهم » الآية ٣٩ من سورة إبراهيم ، إلى آخر سورة الكهف حيث نهاية هذا الجزء ، به ٥٩ ورقة قيد الإصلاح بالخزانة العامة بالرباط ، ووقع الفراغ منه يوم الأربعاء ٢٣ رجب عام ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م .

العشر السادس : توجد منه سبعة أوراق بمكتبة ابن يوسف بمراكش ضمن محفظة تحمل رقم $\frac{٤٣٢}{٢}$ ، وكلها من سورة مريم ، ابتداء من قوله تعالى : « وهزى إليك بجذع النخلة » الآية ٢٤ ، ثم تنتهى هكذا : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لـ » الآية ٩٧ ، وهى — أيضاً — قيد الإصلاح بالخزانة العامة بالرباط .

العشر السابع : توجد منه أربع ورقات بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ج ١٢٧٨ : ثلاث ورقات من أوائله متصلة فيما بينها ، وكلها من سورة الفرقان ، ابتداء من قوله تعالى : « حجرا محجورا » : الآية ٢٢ ، إلى قوله تعالى « ولو شئنا لبعثنا فى كل قر » : الآية ٥١ أما الورقة الرابعة ففيها ختام هذا الجزء أثناء سورة الأحزاب ، حيث تبتدى — عند الصفحة الأولى —

هكذا : « — ها ، وكان الله على كل شيء قديرا » ، الآية ٢٧ إلى أن ينتهي هذا العشر في نفس الصفحة عند الآية ٣٠ ، وفي الصفحة الموالية توجد الكلمة الختامية التي تتضمن تاريخ الفراغ من الجزء : يوم الأربعاء ٧ شعبان عام ٦٥٤ هـ/ ١٢٥٦ م .

وقد وضعت هذه الورقات الأربع داخل محفظة جلد عادية في ظاهرها ، وفي داخلها ألصقت بها ورقتان على طول لوحتيها ، وزخرفت زخرفة جميلة ، ثم كتب على الجهة اليمنى في أعلى الورقة : كلمة « لأمير المؤمنين » ، وفي أسفلها : « مولانا السلطان » ، بينما كتب في الجهة اليسرى في أعلى الورقة : « محمد بن السلطان » ، وفي أسفلها : « مولانا عبد الله » .

وهكذا نتبين عصر هذه المحفظة ، ونستفيد أن لها اتصالا بحياة السلطان العلوي محمد الثالث ، كما نستلفت لها الأنظار لدراستها من طرف المعنيين بهذا الموضوع .

العشر الثامن : لا يزال غير معروف .

العشر التاسع : بمكتبة ابن يوسف بمراكش رقم ٤٣٢ ، به بتر يسير من أوله وآخره ، ويبتدئ هكذا : « من قبل وظنوا ما لهم من محيص » ، الآية ٤٧ من سورة فصلت ، إلى أن ينتهي عند قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا » ، الآية ٢٦ من سورة الحديد ، به ٧٧ ورقة ، ووقع الفراغ من انتساخه إثر صلاة الجمعة ٢٣ شعبان عام ٦٥٤(٥٧) هـ/ ١٢٥٨ م أصلح بعضه بالخزانة العامة والباقي قيد الإصلاح .

العشر العاشر : بمتحف الاوداية بالرباط رقم ٨٧٠١٧٥٧ ، مبتور من الورقة الأولى والآخرة ، ويبتدئ هكذا « يظاهرون منكم من نسائهم ما هن

أمهاتهم » ، الآية ٢ من سورة المجادلة ، به ٨٨ ورقة مرممة ترميما جيدا ببباريز ، ووقع الفراغ منه بعد صلاة الصبح من يوم الجمعة فاتح رمضان عام ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م ، وهو موضوع فى سفره الموحدى ، وبه تنتهى هذه الربعة التى نختم الحديث عنها بتقديم نموذجين من كلماتها الختامية بالنسبة لخاتمة العشر الأول وخاتمة العشر الأخير ، وهذا نص النموذج الأول على ما فيه من ندثار بعض الكلمات :

« كمل العشر الأول من الكتاب العزيز(٥٨) / بحمد الله تعالى . . . . نفع الله تعالى به وتقبله / على يدى عبد الله تعالى : عمر أمير المؤمنين ، المؤمن بالله تعالى / آجره الله . . . نار جهنم برحمته وكمل فى الموفى / عشرين لجمدى « كذا » الثانية ، عام أربعة وخمسين وستمائة / بحضرة مراكش أمنها الله تعالى وأهلها ، والحمد لله وحده كثيرا » .

أما النموذج الثانى فهذا نص الموجود منه بعد ضياع الصفحة المتممة له :

« كملت الربعة الكريمة من الكتاب العزيز ، بحمد الله تعالى وعونه ، وذلك بعد صلوة « كذا » الصبح يوم الجمعة ، أول يوم لرمضن « كذا » المعظم المكرم ، عام أربعة وخمسين وستمائة ، بحضرة الموحدين — أعزهم الله بالطاعة — مراكش حرسها الله تعالى وأهلها ، وكتبها بخط » .

٢ — شذرات من ربعة أبى سعيد المرينى الأول

وهى أربع ورقات — فى الرق — من الجزء ١٦ من القرآن الكريم ، تجزئة ٣٠ جزءا ، مسطرة ٦ ، مقياس ١٩٠ / ١٧٠ ، خ . ع ، ك ٢٩٤٩ ، ضمن ملف يحتوى على قطع قرآنية مختلفة مكتوبة على الرق .

تشتمل هذه الورقات الأربعة على آيات كريمة من سورة « طه » ، وقد

تتابعت الورقتان الأوليان منها ، حيث تبتدى من قوله تعالى : « فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما » الآية ١١٨ ، إلى أن تنتهى الورقة الثانية عند قوله تعالى : « فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع » الآية ١٢١ ، وهنا يقع بتر بالنسبة للورقة الثالثة التى تبتدى الصفحة الأولى منها هكذا : « آياتك من قبل أن تزل وتخزى » الآية ١٣٣ ، ثم فى آخر نفس الصفحة ينتهى هذا الجزء ١٦ عند تمام سورة طه ، وقد كتب فى الصفحة الموالية والتى بعدها : خاتمة الجزء الآتية وشيكا .

خط الكتابة القرآنية أندلسى عريض مبسوط جميل ، مكتوب بمحلول قشر الجوز ، والزرقة أو الخضرة للشدات والسكون ، والصفرة للهمزات القطعية وغيرها ، والخضرة — وحدها — لنقط ألفات الوصل ، أما الكلمة الختامية فهى مكتوبة — بالذهب المصور بالمداد — بخط شرقى ثلثى جميل ، داخل إطار مستطيل مزخرف مصور بالذهب ، وهذا نصها :

« كمل الجزء السادس عشر بحمد الله تعالى / وحسن عونه ، وصلواته الطاهرة على / سيدنا ومولانا محمد رسوله ، وعلى آله / وصحبه وأزواجه وذريته ، مما نسخ لخزانة / مولانا الملك العادل ، النقى الأطهر / أمير المسلمين ، وخليفة رب العالمين / أبو « كذا » سعيد بن مولانا الملك الأشهر ، الخاشى لله تعالى ، الخاشع المجاهد فى سبيل الله ، المقدس المرحوم / أبو « كذا » يوسف يعقوب ابن عبد الحق / أيد الله تعالى سلطانهم ، وعمر / بوفور البشائر أوطانهم بمنه ».

ورغماً عن خلو هذه الخاتمة من تاريخ الفراغ من الكتابة ، نستطيع حصره بين عام ٧١٠هـ/ ١٣١١ م إلى ٧٣١[٥٩] هـ / ١٣٣١ م ، وهى المدة التى حكم المغرب فيها أبو سعيد عثمان بن يعقوب المرينى ، الذى وقعت الكتابة برسم خزانته .

ويلاحظ أنه كتب فى هذه الشذرات كلمة « حبس » بواسطة الثقوب فى الرق ، وهذا — فيما يظهر — تقليد للموحدين الذين يوجد مثل هذا على بعض محبساتهم .

٣ — ربعة أبى الحسن المرينى

بالمتحف الإسلامى بالقدس الشريف ، عجل الله — سبحانه — بخلاصه ، وهى الوحيدة التى لا تزال معروفة من بين الربعات التى كتبها — بخطه — السلطان أبو الحسن المرينى سابق الذكر عند تعداد الخطاطين المصحفيين ، وقد كانت كاملة فى ٣٠ جزءاً ، ثم ضاع منها ٥ أجزاء عوضت بأخرى بخط مغربى عام ١٢٢١ هـ ، وبهذا يبقى من هذه الربعة بخطها الأصلى ٢٥ جزءاً يرجع كتابتها إلى عام ٧٤٥ هـ / ١٣٤٥ م .

مكتوبة — على الورق — بخط مغربى جميل عريض ، فى مسطرة ٥ ، كل سطر مؤلف من بضع كلمات ، ومداده من فتيت المسك وعطر الورد ، وربما أضيف إليهما فى بعض الأحايين الزعفران الشعرى ، لأن الخط يشتد سواده وإشراقه فى بعض الصفحات ، ويصفر فى البعض الآخر ، وفى بعضها يكون قليل السواد ، وقد كتب بآخر فى كل جزء ما يأتى :

« كمل الجزء . . . من هذا المصحف الكريم المجزء ثلاثين جزءاً ، وكتب جميعها — بخطه — عبد الله على أمير المسلمين ، بن أمير المسلمين أبى سعيد عثمان ، بن أمير المسلمين أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق ملك المغرب ، نفعه الله ، ووقفها على التلاوة فيها بالمسجد الأقصى شرفه الله ، لما رغب فيه من ثواب الله ، نفعه الله ، وغفر له ولوالديه ولمن دعا لهما بالرحمة ، آمين ، وذلك فى أواخر ذى حجة[٦٠] ، سنة خمس وأربعين وسبعمائة ، بحضرة

فاس حرسها الله ، الحمد لله ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما[٦١] » .

٤ ـــ ربعة أبى العباس أحمد الوطاسى

رابع سلاطين بنى وطاس الذى سبق ذكره فى عداد الخطاطين المصحفيين ، وقد كتب هذه الربعة ـــ بخطه ـــ فى ثلاثين جزءاً ، وفرغ من انتساخها يوم الخميس ١٧ رمضان عام ٦٤٦ هـ / ١٥٤٠ م ، ثم بعث بها إلى المدينة المنورة ، ولا تزال غير معروفة ، وقد جلى خبرها أبو حامد الفاسى فيما شرحه من دلائل الخيرات[٦٣] ـــ وساق القصة هكذا :

« رأيت بخط الشيخ الإمام ، مفتى فاس وقاضى الجماعة بها ، أبى محمد عبد الواحد بن الشيخ الإمام أبى العباس الونشريسى ـــ رحمه الله ـــ ما نصه : « ومما قلته يوم ختم السلطان أبى العباس أحمد بن السلطان أبى عبد الله محمد ابن السلطان أبى عبد الله الشيخ الوطاسى ـــ أيده الله ـــ للربعة الكريمة التى كتبها بخطه ، وذلك يوم الخميس السابع عشر من رمضان عام ستة وأربعين وتسعمائة :

يا أيها الملك الهمام الأسعد ... الماجد البطل الهمام الأوحد
خطت أناملك الكريمة مصحفاً ... فله المصاحف بالبراعة تشهد
أخلصت فيه لوجه ربك نية ... فبها لك الذخر الذى يتأبد
وجعلت فى شهر الصيام تمامه ... فثوابه متضاعف متأكد
وإلى الثلاثين انتهت أجزاؤه ... عدداً يديم جزاءكم ويخلد

فى أبيات بعد هذه تركتها اختصاراً ، وقد كتب « يقول أبو حامد » سمعت أنه بعث بهذه الربعة إلى المدينة المنورة » .

٥ — مصحف الأميرة مريم السعدية

كتب برسم خزانة الأميرة الست مريم بنت السلطان محمد الشيخ السعدى ، بتاريخ فاتح شعبان عام ٩٦٧ هـ / ١٥٦٠ م ، خ . ع ، ج ٦٥٦ ، ص ٥٠٢ ، مسطرة ١٧ ، مقياس ٢٥٠/٢٠٠ ، خال من اسم الناسخ ، مجلد تجليداً حديثاً .

خطه مغربى مليح يميل للمبسوط ، مكتوب بالسواد الباهت قليلا ، على ورق متصلب غير ناصع البياض ، وهو مشكول بالألوان : فالحمرة للضم والفتح والكسر والمد وعلامات الحذف ، والخضرة أو الزرقة للتشديد والسكون ، والصفرة للهمزات : قطعية وغيرها ، أما نقط ألفات الوصل فهى بالخضرة أو على لون الكتابة ، وعلامات الوقف — للهبطى — بلون أخضر باهت .

وتتخلل الكتابة تراجم صغيرة مزخرفة بالذهب المصور بالمداد تزينها نقط ملونة ، وقد تنوعت هذه التراجم بحسب ما تشير له : منها فواصل الآيات والأحزاب وأجزائها وتجزئة رمضان إلى ٢٧ جزءاً ، وهذه — جميعها — يعلم عليها بترجمة مثلثة الوضع ، تتألف من دائرتين تعلوهما ثالثة ، ويحيط بها أربع نقط : زرقاوان عموديان ، وحمراوان أفقيان ، وهناك فواصل للخُمس : « عند كل خمس آيات » ، وتوضع على شكل مصغر شبه حلزونى ، تعلوه وتسفله نقطتان زرقاوان ، مع نقطتين حمراوين مترا كبتين من الجهة اليسرى ، أما فواصل العُشر « عند كل عشر آيات » فهى ذات ستة أضلاع محاطة بست نقط يتناوب تلوينها بين الحمرة والزرقة .

وقد رصعت هوامش الكتابة بتراجم أكبر ، وموازية لعلامات الأخماس والأعشار والأحزاب وتجزئة رمضان والسجدات وفواتح السور ، حيث وضعت على أشكال متنوعة حسب التجزئة التى تقابلها ، وهكذا تأتى

تراجم الأخماس والأعشار والأحزاب مستديرة استدارات متفاوتة ، بينما جعل لتجزئة رمضان إطار مستطيل ، وللسجدات إطار عريض ، وللتراجم المهمشة لفواتح السور زخرفة كبيرة مستديرة ، مذهبة ملونة بالزرقة المنمقة — يسيراً — بالحمرة ، مع تنويعها بحسب السور ، والتراجم — كلها — أرضها حمراء ، تحف بها زخرفة ذهبية ملونة بنقط حمراء ، قد ينضاف إليها — قليلا — نقط زرقاء ، وكتابتها — جميعاً — بالخط الكوفى ، غير تجزئة رمضان ، المكتوبة بخط الثلث الشرقى .

أما أسماء السور فهى بخط كوفى مذهب ملون ، وقد عنونت سورة الفاتحة — بالخصوص — بخط شرقى يميل للثلث .

وفى المصحف الشريف ست لوحات رائعة : اثنتان منها فى أوائله ، وأربعة بأواخره ، وقد زخرفت اللوحتان الأوليان مع الخامسة والسادسة زخرفتان — غير متشابهة — بالذهب والألوان ، بينما خصصت اللوحتان الثالثة والرابعة للكلمة الختامية ، التى كتبت — فى الصفحتين معا — بخط شرقى ثلثى ، بالذهب على أرض زرقاء ، ووضع كل سطر داخل إطار أفقى مذهب ملون ، وهذا نص الكلمة الختامية :

« كمل المصحف الكريم ، بما فيه من الآيات والذكر / الحكيم ، بحمد الله وحسن عونه ، وصلى الله على سيدنا / محمد نبيه وعبده ، وعلى آله وأصحابه وآل بيته / المنتسخ لخزانة الحرة الطاهرة ، الجليلة / الفاضلة ، فريدة زمانها ، مريم بنت مولانا السلطان / الأمجد ، المنصور المؤيد ، أبو « كذا » عبد الله محمد / الشيخ الشريف الحسنى أحسن الله إليه ، بن / موالينا الشرفاء الأكرمين ، رحمة الله عليهم / أجمعين ، وكان الفراغ منه فاتح شعبان ، الذى من / عام سبعة وستين وسبعمائة ، عرفنا الله خيره » .

٦ — مصحف الأمير محمد بن عبد القادر

[ابن السلطان محمد الشيخ السعدى (٦٤)]

كتب برسم خزانته ، ووقع الفراغ منه بتاريخ أوائل رمضان عام ٩٦٨ هـ/ ١٥٦١ م ، خ . ع ، ج ٦٠٦ ، ص ٥٤٠ ، مسطرة ٧١ ، مقياس ٢٧٥/٢١٠ ، خال من اسم الناسخ ، مجلد بسفر يظهر أنه من عمل أندلسى موريسكى مزخرف مذهب . خط مغربى عريض يميل للأندلسى ، مبسوط حسن ، مكتوب بالحبر الحالك على ورق متصلب غير ناصع البياض ، وشكله مماثل فى تلوينه لضبط المصحف الأخير رقم ٥ ، باستثناء علامات الوقف على مذهب الهبطى ، حيث رسمت بالحمرة .

يتخلل الكتابة تراجم صغيرة ، مرخرفة بالذهب المصور باللون الأحمر ، والمنقط بالألوان ، وقد تنوعت هذه التراجم بحسب ما تشير له ، حيث جاءت فواصل الأعشار مستديرة تحيط بها ثمانية نقط زرقاء ، أما فواصل باقى التجزئات القرآنية فقد وضعت تراجمها على هيئة مثلث يتكون من ثلاث دوائر صغيرة ، يحيط بها أربع نقط : ثلاث زرقاء ، وواحدة حمراء .

ثم ازدانت هوامش المصحف الشريف ، بتراجم مكبرة ، وموازية للتجزئات القرآنية ، بما فيها تجزئات الأسباع التى تقسم المصحف الكريم إلى سبعة أجزاء ، وهو شىء انفرد به هذا عن سابقه ، وقد زخرفت هذه التراجم فى أوضاع مختلفة حسب التجزئات المساوقة لها : فتراجم الأخماس على شكل أجاصة صغيرة ، والأعشار ترجمات مستديرات ، فيها وفى سابقتها بالخط الكوفى ، ورءوس الأحزاب فى إطار مربع مذهب ، مكتوب فيه بالخط الشرقى الثلثى ، وأجزاء الأحزاب بالخط الكوفى المصور باللون الأحمر دون إطار ، وتجزئة رمضان والسجدات داخل إطار مربع مكتوب فيه بالخط الكوفى ،

وفواتح السور بهوامشها تراجم مزخرفة ، بينما كتبت تجزئات الأسباع بالذهب بخط شرقى ثلثى ، داخل مربع مذهب ، وجميع تراجم هذه التجزئات مرقومة على أرض زرقاء ، فى زخرفة فائقة فى صنعها ، متناسبة فى تلوينها ، مع تفنن فى الأوضاع حتى بالنسبة لزخارف التجزئة الواحدة ، حيث تتنوع فى الأخماس وتتنوع فى الأعشار ، وهكذا البواقى .

أما عناوين السور فبالخط الكوفى دون إطار باستثناء سورتى الفاتحة والبقرة فهما بخط شرقى ثلثى مكتوب بالأزرق المصور بالذهب داخل إطار ذهبى مستطيل ، ملون بالحمرة المرسومة بالذهب .

بأول المصحف أربع لوحات مزخرفة متنوعة ، وفى آخره تأتى الكلمة الختامية ، وقد ابتدئت كتابتها من الصفحة الأخيرة منه واستغرقت نحو ثلثيها ، ثم تممت فى أربع صفحات تالية ، تليها لوحتان ختاميتان فى زخرفة متنوعة ، والكتابة فى الكلمة الختامية بخط شرقى ثلثى مشتبك ، داخل أطر مستطيلة مزخرفة ، وجميع زخارف هذه اللوحات بالذهب الملون بالأزرق والأحمر ، وفيما يلى نص خاتمة المصحف الشريف :

« كملت النسخة المباركة ، المكتتبة بقصر خزانة / مولانا الإمام الذى شيد من معالم الفخار ما وهى / واندرس ، واحيى « كذا » من مراسم المجد ما عفى / وانطمس ، وثنى أزمة نجائب عزمه عن دواعى الصبا ، / ولم يستمله لذلك مهب جنوب ولا نسيم صبا ، / فارتشف فى ريعان شبابه رضاب أركان المعالى ، وانتسخ منها عين المقدم والتالى ، فجاء / بحمد الله — نادرة الأيام والليالى ووا / سطة أسلاك اللئالى ، إن قلت الندى ، فخاتم طيه ، أو البيان فمن سنا قلمه / تتفجر ينابيعه ، ومن رياض بلاغته تند / فق منابعه ، أو السياسة فهو

قطب / رحاها وبدر ليلها وشمس ضحاها ، / قد أخذ من الشجرة الهاشمية العلوية / بذؤابتها ، ومن الولادة الفاطمية / بأغصانها ومنابتها ، مولانا محمد / ابن مولانا عبد القادر ، أمده الله / بيسره وتوفيقه فى الموارد والمصا / در ، ولما حليت هذه النسخة بالانتساب / لمعناه ، وازدهت شرفا بحلولها / حضرة مغناه ، وأضيفت إلى اسمه / ومسماه ، لحضتها « كذا » أحداق النضار « كذا » / بأنواع المحاسن والمقاصد ، و / بضروب الاجادة وأصناف المحامد ، / ضربت فى الحسن بالسهم المصيب ، وماست / فى ثوب من الجمال قشيب ، وحازت من الفضائل / أوفر نصيب ، كستها أبنة الصناع / حللا رقيقة الحواشى ، وصيرتها / علما يهتدى به الراكب والماشى ، / وامتطت صهوات مئاثر البدائع / ومالت ، وهزت أعطافها على / تلك المراقى وقالت :

أيا ناظرا رقمى / وحسن صنائع ومستنشقا / عرفى وأذكى بدائع
لك الله فادع / للمعلم أنه إمام له دانت جميع الصنائع

وكان الفراغ منها أوائل رمضان / المعظم ، الذى من عام ثمانية وستين / وتسعمائة ، عرفنا الله خيره ووقا / نا ضيره بمنه ، والصلاة والسلام / على الذى أضاءت أحلاك الشرك / بطلعته ، واستنارت بسائط الدين / برؤيته ، خلاصة الكونين ، وسيد الثقلين / صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم » .

٧ — مصحف « الغالب » السعدى

وهو أبو محمد عبد الله الغالب ، بن السلطان محمد الشيخ السعدى ، ملك المغرب من عام ٩٦٥ هـ / ١٥٥٧ م ، إلى عام ٩٠١ هـ[٦٥] / ١٥٠٤ م ، وقد كتب هذا المصحف برسم خزانته ، ووقع الفراغ منه فى أوائل رمضان

٩٧٥ هـ/ ١٥٦٨ م ، ثم صار إلى مكتبة المتحف البريطانى ، حيث ورد وصفه فى « ملحق فهرس المخطوطات العربية » بهذا المتحف[٦٦] .

وحسب هذا المصدر فإن المصحف الشريف يقع فى ٤٠٠ ص ، مسطرة ١٧ ، مقياس ٨/١٠½ بوصة ، والخط الأصلى للمصحف إنما يبتدى من الورقة ١٣ ، عند قوله تعالى : « بعد فأمتعه قليلا ثم أضطره » الآية رقم ١٢٥ من سورة البقرة ، وقبل هذا توجد ١٢ ورقة بخط حديث .

والخط الأصلى للمصحف مغربى عريض واضح ومزخرف ، مشكول بالألوان ، حيث جاءت علامة الهمزة نقطة صفراء ، ثم لون بالخضرة نقطة ألف الوصل والشدات والسكون .

الآيات مفرقة بدوائر ذهبية ، وهوامش المصحف مغطاة بزخارف ذهبية أيضا فى عدة أشكال بالنسبة لكل صفحة ، وبمناسبة التقسيمات المختلفة ، فالثمن والربع . . . يوضع فى الهامش مزخرفا ، وكذلك أوائل الأحزاب وتجزئات رمضان إلى سبعة وعشرين ، هذا إلى زخارف أخرى توازى كل خمس آيات وكل عشر آيات ، وأسماء السور مكتوبة بالخط الكوفى بالذهب ، وهناك زخارف أخرى فى سائر هوامش السور .

وفى الختام توجد كتابة بخط واضح أبيض ، على صفحة زرقاء ، وهذا نصها : « كملت النسخة المباركة — ولواهب العون الحمد بلا غاية ، والشكر بلا نهاية ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما — المنتسخة برسم الخزانة السعيدة : خزانة مولانا السلطان الكبير ، الجليل الشهير ، الأعلى العادل ، الفاضل الكامل ، الأعطف الأرأف الأوفى ، الأمضى / الأكفى . . . . جمال الإسلام ، علم الأعلام ، فخر ظلال الليالى والأيام ، أبى محمد عبد الله ، بن مولانا السلطان الكبير ، المؤيد المعان ، أمير المسلمين ،

وعاضد الدين ، الخليفة الإمام ، مذل الشرك ومعلى الإسلام ، المبارك السعيد ، المقدس المرحوم ، أبى عبد الله محمد الشيخ ، الشريف الحسنى ، أعلى الله على كل مقام مقـامه ، ونصر ألويته الخافقة وأعلامه ، وبلغه فى الأعداء مأموله ومرامه ، وجعـل النصر العزيز قائده وإمامه ، والفتح القريب مكافحا خلفه وأمامه ، وذلك فى أوائل شهر رمضان المعظم ، سنة خمس وسبعين وتسعمائة » .

٨ — مصحف المنصور السعدى

وهو أبو العباس أحمد بن السلطان محمد الشيخ السعدى ، ملك المغرب من عام ٩٨٦ هـ / ١٥٧٨ م إلى عام ١٠١٢ هـ [٦٧] / ١٦٠٣ م ، ولقد كتب هذا المصحف لخزانته ، وكمل بجامع قصر البديع بمراكش يوم الأربعـاء ١٣ ربيع الثانى ، عام ١٠٠٨ هـ / ١٥٩٩ م ، ثم صار إلى مكتبة الاسكوريال باسبانيا حيث هو معروض فى القاعة الـكبرى منها ، ويحمل رقم ١٣٤٠ فى قائمة ا . لافى بروفنسال ، التى جاء فيها الوصف التالى لهذه الذخيرة [٦٨] :

مكتوب بخط مغربى مبسوط منمق ، ومشكول بالأحمر ، وبالنسبة للشدات والسكون باللون الأزرق ، عناوين السور مزخرفة زخرفة جيدة ، ومكتوبة بالخط الـكوفى المذهب ، والملون بالزرقة الباهتة ، وهنـاك زخارف لامعة فى اللوحات ذات الأرقام : ١ و ٢ و ٢٦٤ و ٢٦٥ ، وخصصت اللوحة ٢٦٤ للـكلمة الختامية التى كتبت مذهبة على صفحة زرقاء كما يلى :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد وآله ، / انتسخ هذا المصحف الـكريم ، والذكر الحـكيم ، المشتمل على كلام الله / تعالى القديم ، الذى لا يأتيه البـاطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل / من حكيم حميد ، الضارب بسيف الإعجاز فى صدر كل ذى لسان حديد / المتحدى بعشر فواحد

فأفحم المعاند العنيد ، المزرى فى محكم نظمه وانسجام/ سلسبيل نسجه بكل عقد نضيد ، وبحر فى البسيط مديد ، المنزل على / من أوتى جوامع الكلم ؛ من تكونت لأجله العوالم ولولاه لم يصلى الله عليه/ صلاة لا تحد بلسان ولا قلم ، برسم الخزانة العلية ، الكريمة النبوية ، الحسنية الإمامية/ ، الأحمدية المنصورية وهو المصحف الشريف الذى أخمل زهر الخمائل تفويفا ، / وأضحى للخزانة العلية إماما بل تم به مصنفاتها مزية وتشريفا ، كلما رمقته عيونها/ أطرقت من هيبته فتكاد تموت فى جلدها ، وإذا استفتح تألقت أنوار فواتحه/ تألق الحياة فى عقدها ، مُنمَّق الكتابة بالمداد المقام من فائق العنبر ، المتعاهد/ السقيا بالعبير المحلوك بمياه الورد والزهر / تنويها وتعظيما لكلام الله تعالى المنزه عن/ كلام البشر ، ووافق تمامه يوم الأربعاء الثالث عشر من ربيع الثانى ، عام ثمانية بعد ألف سنة ، / بجامع الإيوان الكريم من قصور الإمامة العلية ، خلد الله شريف آثارها ، وأنار جهات البسيطة/ بساطع أنوارها ، وصلى على سيدنا ومولانا محمد ، وعلى آله وسلم تسليما » .

به ٢٦٥ ورقة ، مقياس ٢٧٠ / ١٩٠ .

٩ – الربع الأول من القرآن الكريم «صدر العصر العلوى»

استنسخه الكاتب الأرفع عبد الواحد بن أحمد العمرانى الحسنى(٦٩) ، ووقع الفراغ منه آخر جمادى الأولى عام ١٠٩٠ هـ/ ١٦٧٩ م ، خ . ع ، ج ٧٣٧ ص ٢٩٠ ، مسطرة ١٣ ، مقياس ٢٦٠ / ٢٠٥ ، موضوع فى سفر من ورق مقوى مهلهل ، خال من اسم الناسخ .

مكتوب — على الورق — بخط مغربى مبسوط جميل مجدول ، رقم فيه اسم الجلالة بالذهب المصور بالمداد ، وشكله ملون ، فالشدات والسكون بلون أزرق ،

والهمزات — قطعية وغيرها — بمداد أصفر ، ونقط ألفات الوصل بالخضرة . بينما لون باقى الشكل بالحمرة التى رسم بها — أيضاً — علامات الوقف للهبطى .

فواتح السور بخط كوفى مكتوب بالذهب المصور بالمداد على صفحة زرقاء ، وداخل إطار مستطيل مذهب وملون بالحمرة ، مع تذييله — فى الهامش — بترجمة ذهبية مستديرة ، وملونة بالأحمر والأزرق أو الأخضر ، وقد زينت هوامش المصحف — مرة أخرى — بتراجم للأحزاب مستديرة مزخرفة مكتوب فيها بالكوفى على أرض زرقاء ، بينما كتبت أجزاء الأحزاب بالكوفى أيضاً دون زخرفة . بأول هذا الجزء لوحتان غاية فى الزخرفة والتذهيب والتلوين ، ثم عند اختتام الكتابة القرآنية ، وابتداء من منتصف الصفحة ، توجد ترجمة ذات إطار مذهب ، يحيط بأرض زرقاء ، كتب فيها — بالذهب المرسوم بالسواد والحمرة — تاريخ الفراغ من الكتابة بخط شرقى ثلثى هكذا : « كمل الربع الأول ، والحمد لله/تعالى ، وصلى على/مولانا محمد وآله وصحبه ، /آخر جمادى الأولى ، تسعين وألف » .

وبعد هذا تبرز لوحتان ختاميتان ، فى زخرفة فائقة تذهيباً وتلويناً ، وقد كتب فى اللوحة الثانية الكلمة الختامية بخط شرقى ثلثى — بالذهب المصور بالمداد ، وهذا نصها :

« الجزء الأول من كتاب الله العزيز ، استنسخه/الكاتب الأرفع ، الهمام السميذع ، المقتفى/أثر أسلافه الجهابذة الأفاضل ، الحائز قصب/السبق فى الفواضل ، الذى سمت هامة/همته على الثريا ، الراجى من المولى الكريم بلوغ الآمال فى الآخرة والدنيا ، أبو محمد سيدى/عبد الواحد بن أحمد العمرانى الحسنى ، غفر الله/له ولوالديه وللمسلمين آمين » .

١٠ — مصحف الأمير على العلوى

كتب برسم الأمير العلوى : على بن محمد بن السلطان أبى الفداء . بخط مغربى عام ١١٤٢ / ١٧٢٩ — ١٧٣٠ م ، محلى ومنقوش بالذهب والألوان . وهو معدود من ذخائر دار الكتب المصرية يحفظ بها تحت رقم ٢٥(٧٠) .

١١ — ربعة القندوسى

بخط محمد بن أبى القاسم القندوسى سابق الذكر فى عداد الخطاطين المصحفيين ، كتبها برسم السفير المغربى الحاج إدريس بن الوزير محمد ابن إدريس العمروى الفاسى(٧١) ، وفرغ منها يوم الجمعة آخر شوال ، عام ١٢٦٦ هـ / ١٨٥٠ م .

تقع فى ١٢ جزءاً بنسبة خمسة أحزاب فى الجزء وتبرز أهميتها فى الحجم الذى كتب فيه كل واحد من أجزائها ، وفى الفخامة التى رسم بها خطها ، حيث كتبت بخط عريض وحروف بارزة مبسوطة ، بين كل كلمتين وأربع فى السطر ، وقد بلغ عرض الخط فى أكثر الأجزاء نصف سانتيم ، وذلك ابتداء من الجزء الخامس حتى نهاية القرآن الكريم ، وقد صارت هذه الربعة — بكاملها — إلى المكتبة الزيدانية بمكناس ، حيث تحمل رقم ٣٥٩٥ من الفهرس الجديد .

١٢ ـ مصحف شريف

بالمطبعة الحجرية الفاسية

وهو أول مصحف مطبوع بالمغرب ، حيث صدر عن مطبعة الحاج الطيب ابن محمد الأزرق بفاس ، ووقع الفراغ منه يوم الخميس ٤ شعبان ، عام ١٢٩٦ هـ / ١٨٧٩ م .

خط مغربى لا بأس به ، مبسوط مشكول مجدول ، موقف على طريقة الهبطى ، وخال من اسم الناسخ . به ٢٥١ ص ، مسطرة ١٩ ، مقياس ٢٢٥ / ١٨٠ ، موضوع فى سفر مغشى بجلد أحمر مذهب ، من نوع تجليد المطبعة التى أخرجته .

١٣ ـ مصحف الحبابى

قام بطبعه الحاج محمد المهدى الحبابى مع محمد الحبابى ، الفاسيان ، صاحبا المكتبة التجارية بفاس ، وتكرر طبعه — على الحجر أيضاً — بالمطبعة التجارية الكبرى بمصر ، حيث تمت الطبعة الأولى فى متم شوال ، عام ١٣٤٧ هـ / ١٩٢٩ م .

مكتوب على ورق متين ضارب للصفرة — بخط مغربى جميل ، مبسوط مشكول مجدول ، ومزخرف بالمناسبة بالحمرة أو على لون الكتابة ، موقف على مذهب الهبطى ، مع تصحيحه على يد ثلاثة من مشايخ القراءات بالمغرب ، ومراجعته من طرف مراجع المصاحف الشريفة بمشيخة المقارى المصرية الشيخ على محمد الضباع .

يشتمل على أربعة أرباع يجمعها سفر واحد :

الربع الأول : ١٥٩ ص

الربع الثانى : ١٧٤ ص

الربع الثالث : ١٦٦ ص

الربع الرابع : ٢٠٠ ص

مسطرة ١٥ ، مقياس ٢٤٠ / ١٦٠ .

وقد ذيل بكلمة ختامية تشرح خطة الطبع ، مع تسمية كاتب المصحف الشريف ومصححيه للمغاربة ، وتاريخ الطبع للذيل بإمضاء الناشرين ، وهذه هى الكلمة الختامية :

« الحمد لله وحده ، وصلى الله من لا نبي بعده ، وبعد : فهذه خدمة جرى فى أنفسنا أن نقدمها للدين والوطن ، ورأينا أن التحرى فيها وحسن الاختيار ، واجب لا مناص منه ولا فرار ، فاخترنا من بين الخطوط المغربية أحسنها ، ومن بين المصححين أكثرهم حفظاً وإتقاناً ، ولكن « رأينا أن طبعه فى للطابع المصرية . وزيادة تصحيحه ومقابلته على يد مشايخها الكبار . مما يزيد فى إتقان العمل الذى آلينا على أنفسنا أن نقوم به داخل وطننا المغربى وخارجه ، فوكلناه إلى مشيخة المقارىء المصرية للفحص والتصحيح ، وقد بذلت غاية جهدها فى القيام بتصحيحه إلى أقصى درجة مستطاعة .

أما كاتب هذا المصحف الشريف . فهو الأستاذ الفاضل / السيد أحمد بن الحسن زويتن ، وأما مصححوه من الأساتذة المغاربة فهم ثلاثة مشهورون بالحفظ والإتقان والتجويد . أولهم : الشيخ الكبير / السيد محمد بن عبد الله ، من كبار علماء القرويين . وثانيهم : الحافظ المقرىء : الشيخ الحسن بن محمد الزروالى . وثالثهم : الأستاذ الجليل / أبو الشتاء الفشتالى .

وكان طبع هذا المصحف الشريف فى عهد سلطاننا المنصور بالله ، مولاى محمد بن يوسف أطال الله حياته لخدمة الدين والبلاد ، ورزقنا التوفيق والنجاح بمنه وكرمه ، إنه سميع مجيب ، حرر بمصر القاهرة ، فى متم شعبان الأبرك ، عام ١٣٤٧ ، محمد المهد « كذا » الحبابى ، محمد الحبابى » ؟

محمد المنونى

الرباط — المغرب

خاتمة العشر الرابع من الربعة الكريمة رقم ١
متحف الأوداية بالرباط

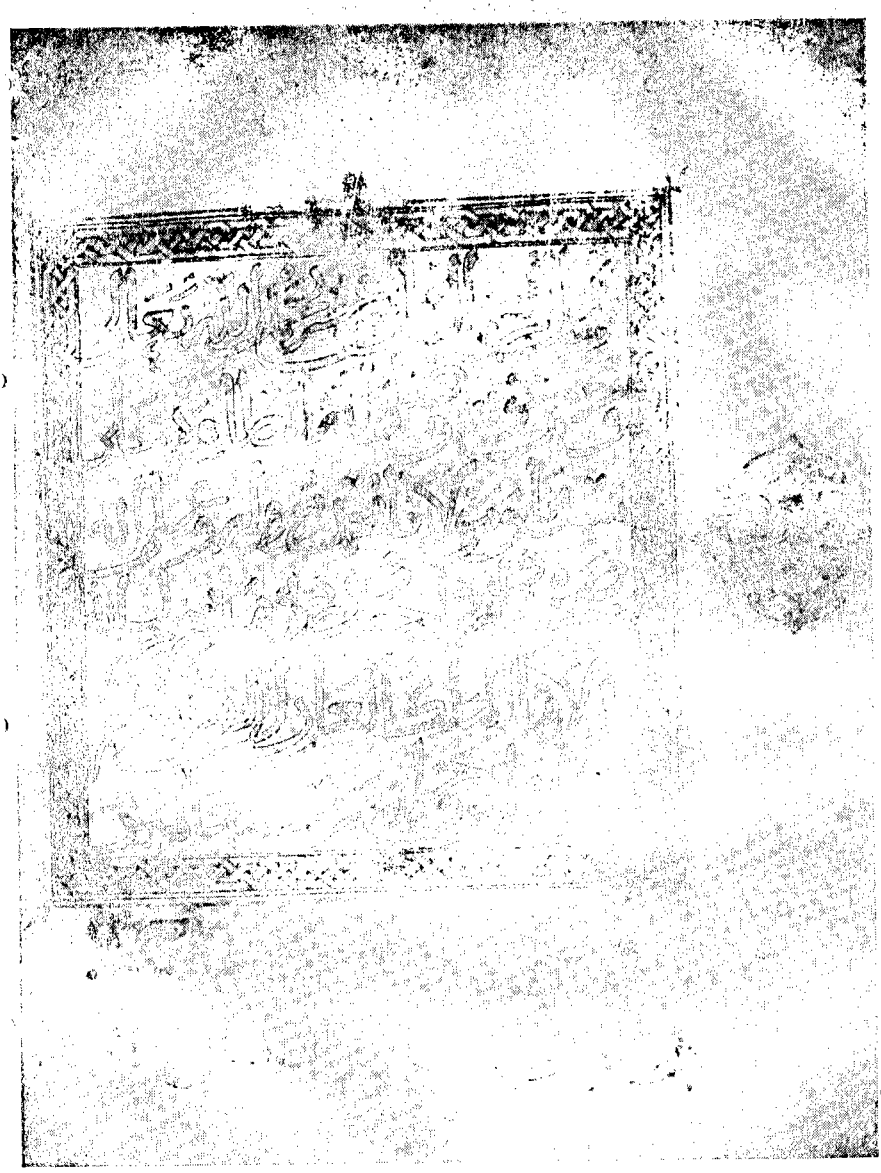

اللوحة الأولى من خاتمة الشذرات القرآنية الشريفة رقم ٢

خ ٠ ع ٠ ك ٢٩٤٩

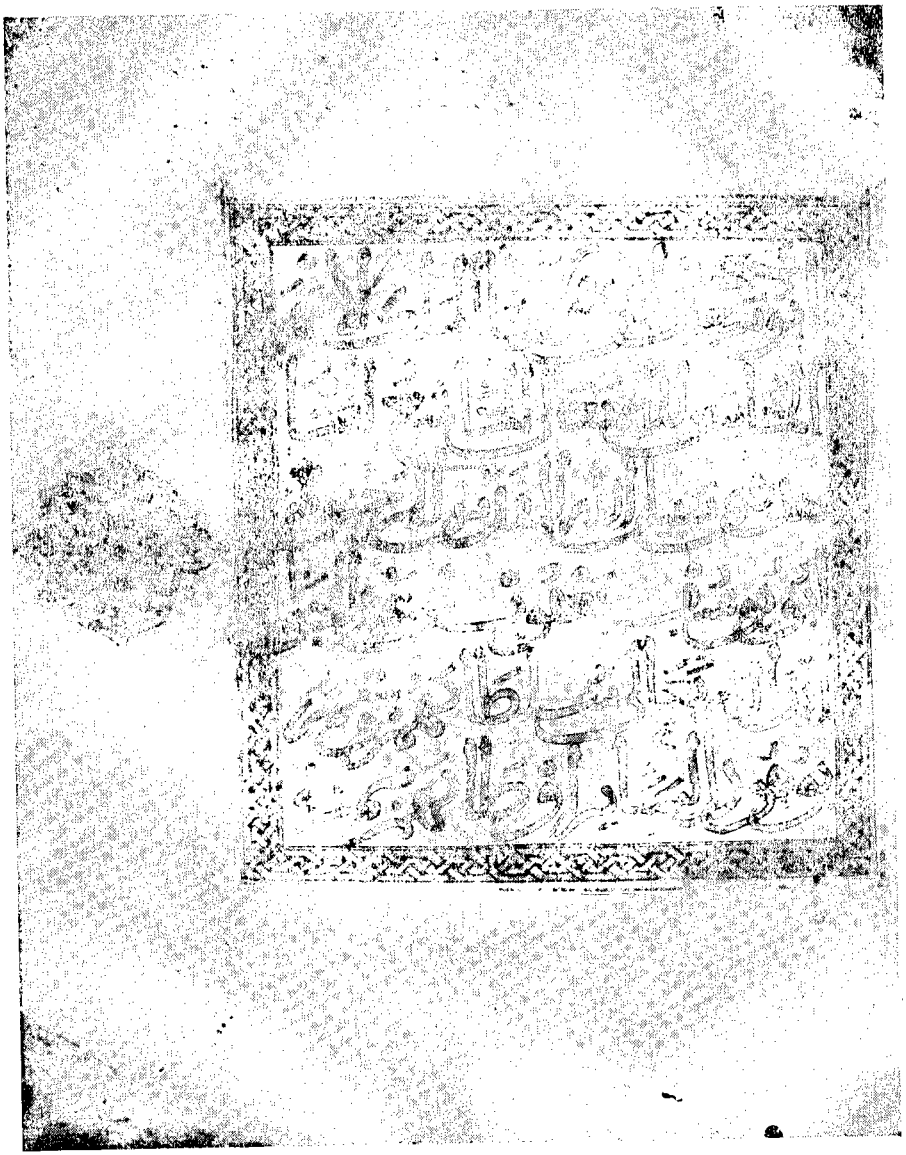

اللوحة الثانية من خاتمة الشذرات القرآنية الشريفة رقم ٢

خ ٠ ع ٠ ك ٢٩٤٩

خاتمة المصحف الشريف رقم ٥

خ ٠ ع ٠ ج ٦٥٦

اللوحة الأولى من خاتمة المصحف الشريف رقم ٦

خ ٠ ع ٠ ج ٦٠٦

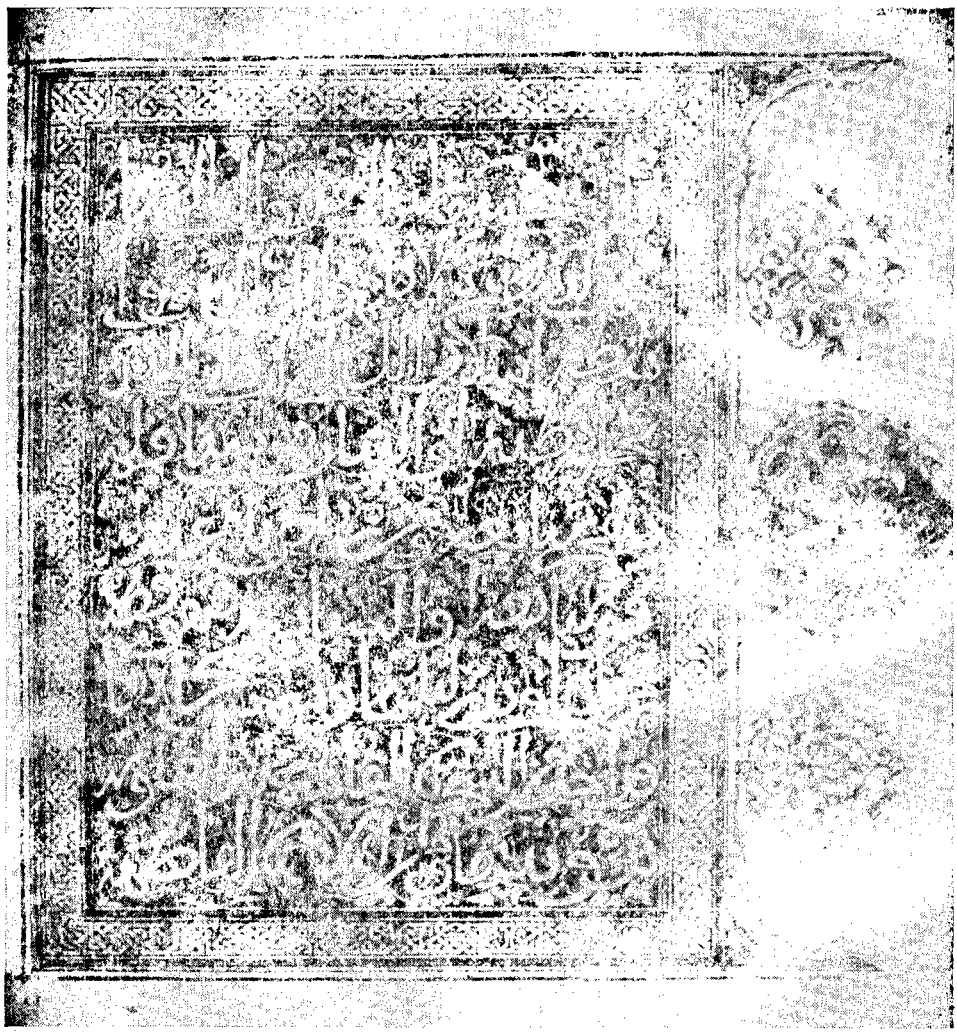

اللوحة الثانية من خاتمة المصحف الشريف رقم ٦

خ ٠ ع ٠ ج ٦٠٦

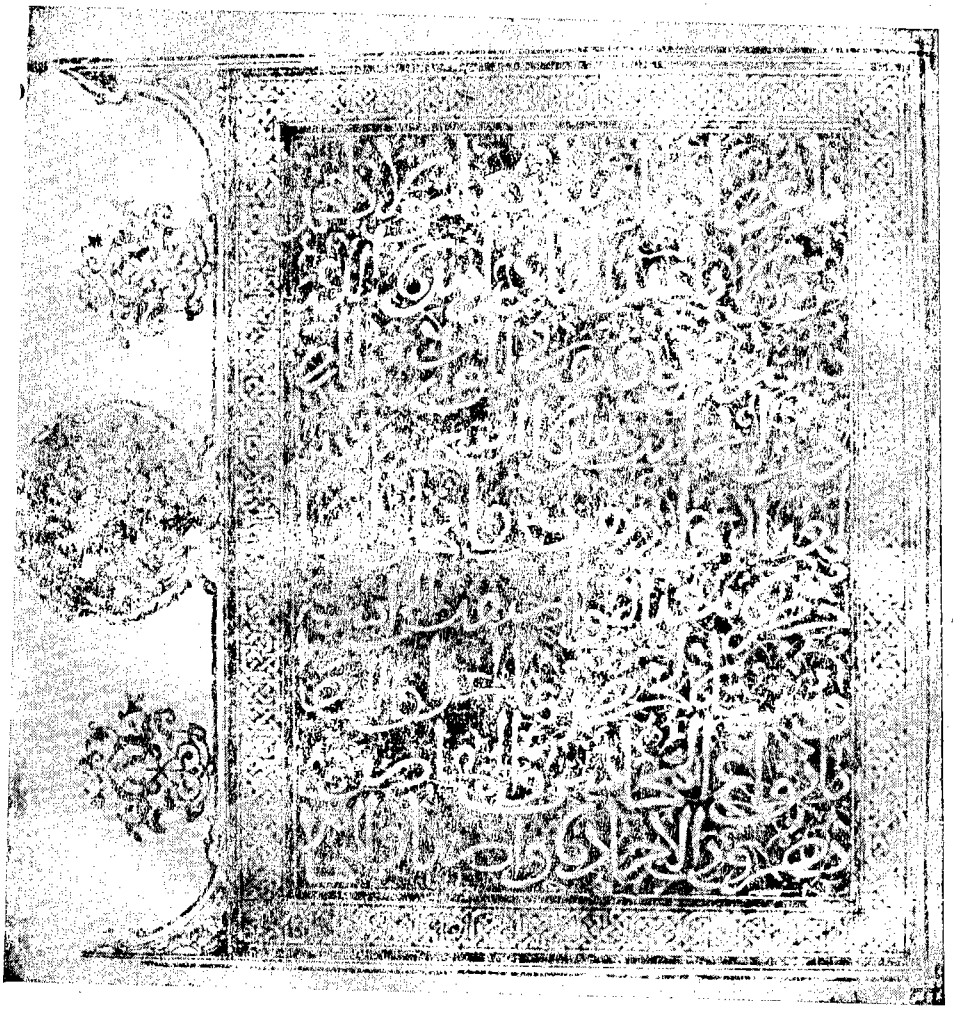

اللوحة الثانية من خاتمة المصحف الشريف رقم ٦

خ ٠ ع ٠ ج ٦٠٦

اللوحة الرابعة من خاتمة المصحف الشريف رقم ٦

خ ٠ ع ٠ ج ٦٠٦

اللوحة الخامسة من خاتمة المصحف الشريف رقم ٦

خ ٠ ع ٠ ج ٦٠٦

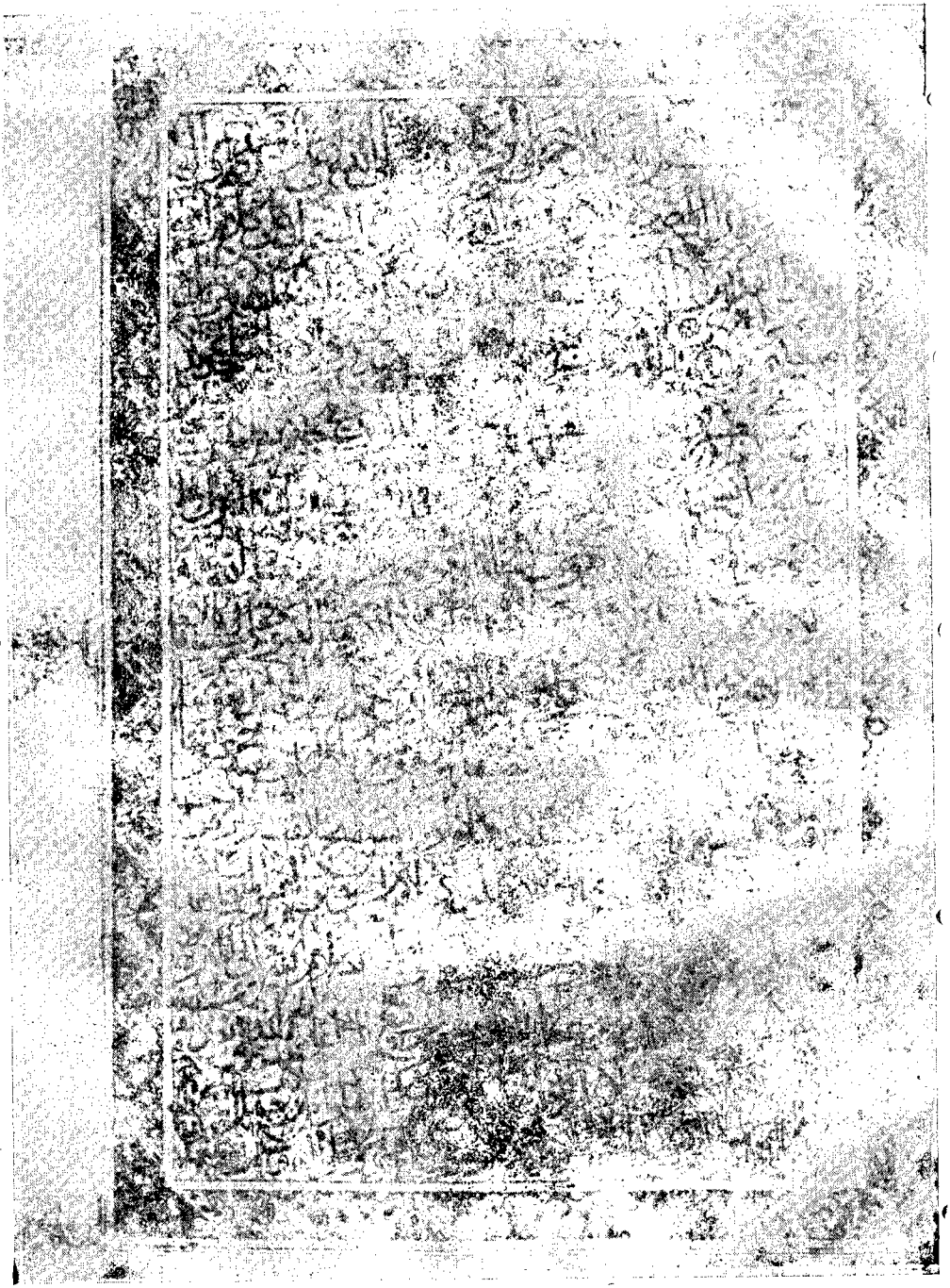

اللوحة الختامية للمصحف الشريف رقم ٨ ، فهرس مكتبة
الاسكوريال ، من عمل ١ . لافى بروفنسال

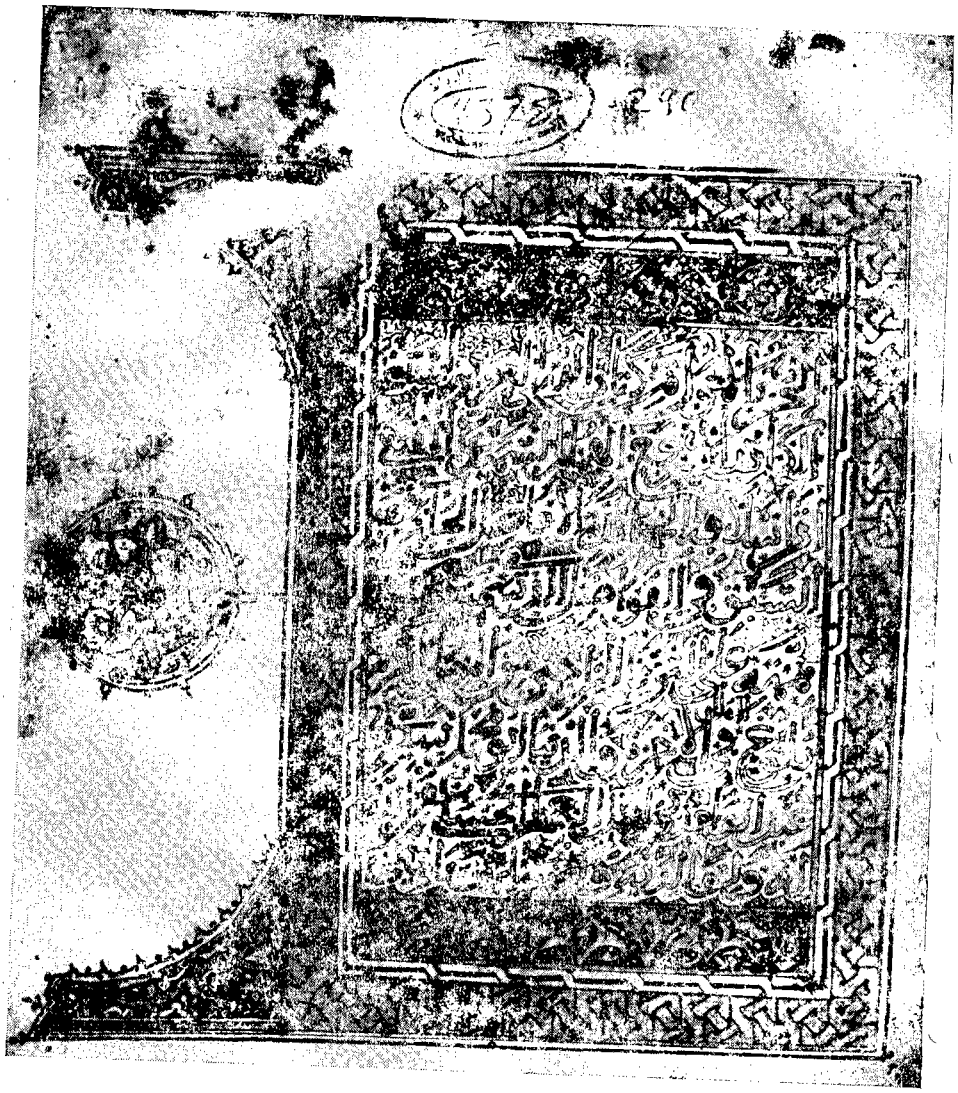

خ ٠ ع ٠ ج ٧٣٧
خاتمة الربع الأول من القرآن الكريم رقم ٩

التعاليق

(١) « أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم » لمحمد بن أحمد المقدسى المعروف بالبشارى « مطبعة بريل فى مدينة ليدن » الطبعة الثانية سنة ١٩٠٦ م ص ٢٣٩ .

(٢) « روض القرطاس » المطبعة الحجرية الفاسية عام ١٣٠٥ هـ ص ٧٩ .

(٣) « المعجب » مطبعة السعادة بمصر عام ١٣٢٤ هـ — ص ١٦٦ .

(٤) « روض القرطاس » — ص ٤٣ ، مع ص ٤٧ .

(٥) يذكر البعض وجود مصحف كريم مكتوب — على الرق — فى قالب ثمانى ، انتسخه الشيخ أبو يحيى بن الشيخ ابى زكريا بن الشيخ أبى إبراهيم ، فى شهر رمضان عام ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م غير أن هذا المصحف لا يزال غير معروف ، وكاتبه أبو يحيى : ذكره المراكشى كوزير ليوسف الموحدى الثانى ، ومماه : زكرياء بن يحيى بن أبى إبراهيم إسماعيل المزرجى صاحب ابن تومرت ، وأمه بنت يعقوب المنصور ، « المعجب » الطبعة الآنفة الذكر — ص ٢١٧ ، ثم أشار له ابن سعيد كأمير لسبتة ، ومماه : ابا يحيى ابن يحيى بن أبى إبراهيم « المغرب فى حلى المغرب » نشر دار المعارف — ج ٢ ص ٣٦٢ ، وقدمه المقرى بعنوان صاحب سبتة أبى يحيى بن أبى زكريا ، صهر ناصر بنى عبد المومن ، وقد أجرى ذكره بمناسبة تقديم المناظرة التى وقعت فى مجلسه بين الشقندى وأبى يحيى بن المعلم الطنجى ، فى المفاضلة بين الأندلس والمغرب « نفح الطيب » المطبعة الأزهرية — ج ٢ ص ١٣٨ .

(٦) ط . ف — ص ١٦٣ .

(٧) « التشوف إلى رجال التصوف لابن الزيات ، نشر معهد الأبحاث العليا المغربية بالرباط — رقم ٢١٣ .

(٨) « التكملة » لابن الأبار ، مطبعة روخس بمجريط سنة ١٨٨٦ م رقم ٩٢٧ ، مع الذيل والتكملة « لابن عبد الملك ، مصور خ . ع . د ٢٦٤٧ — لوحة ٥٠٦ » وانظر عن ترجمة عبد الله والد محمد بن غطوس : تكملة ابن الأبار رقم ١٣٧٠ .

(٩) « الوافى بالوفيات » ج ٣ ص ٣٥١ — ٣٥٢ .

(١٠) « التكملة » رقم ١٠٧٠ ، وانظر الذيل والتكملة مصور خ . ع ، د ١٧٠٥ لوحات ١٤٥ — ١٤٧ .

(١١) « التكملة » رقم ٩٩٤ .

(١٢) — خ . ع ، ق ١١١ — الباب ٥٥ ، الفصل السابع .

(١٣) « المسند الصحيح الحسن » — الباب ٥٥ ، الفصل السابع .

(١٤) « تحفة النظار » نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر عام ١٣٧٧ هـ ج ٢ ص ١٨٣ .

(١٥) « منطق الطير » مخطوطة المكتبة الملكية بالرباط رقم ١٩١٠ .

(١٦) « رقم الحلل وشرحها » ط تونس — ص ٨٦ ، ١٠٧ .

(١٧) « الإعلام بمن حل مراكش واغمات من الأعلام » ج ٣ ص ٢٨٣ .

(١٨) سلوة الأنفاس ج ٢ ص ٦٥ .

(١٩) الصغرى « مخطوطة خاصة » أثناء ترجمة عبد الواحد الونشريسى .

(٢٠) « عروسة المسائل فيما لبنى وطاس من الفضائل » أرجوزة لمحمد الكراسى ، المطبعة الملكية — ص ٢٨ .

(٢١) مطبعة بولاق بالقاهرة ١٢٨٤ هـ — ج ٧ ص ٢٦٥ .

(٢٢) فى فهرسته الآنفة الذكر .

(٢٣) « سلوة الأنفاس » ج ٢ ص ٣٢٩ .

(٢٤) انظر محمد المنونى ، مركز المصحف الشريف بالمغرب ، مجلة دعوة الحق ، العدد الثالث السنة الحادية عشر — ص ٧٦ .

(٢٥) « سلوك الطريق الوارية » للزبادى آتى الذكر ، مخطوطة خاصة — عند الباب الثامن .

(٢٦) نفس المصدر — عند الباب الساس، أثناء ترجمة محمد بن قاسم جسوس

(٢٧) « ذكر من اشتهر أمره وانتشر ممن بعد الستين من أهل القرن الثالث عشر » لمحمد الفاطمي الصقلي ، مخطوطة خاصة ، مع « سلوة الأنفاس » ج ٣ ص ٢٥ .

(٢٨) ج ٣ ص ٤١ .

(٢٩) في مقيدات له ضمن كناشة بمكتبة العلامة الجليل محمد بن أبو بكر التطواني بسلا ، حيث وقفت عليها أثناء عام ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م ، ولهذا الخطاط ترجمة في « مجالس الانبساط بشرح تراجم علماء وصلحاء الرباط » لمحمد بن علي ابن أحمد دنية الأندلسي الرباطي ، نسخة المكتبة الملكية بالرباط رقم ٧٧٩ — ج ١ ص ٢٢٢ حيث يذكر أنه لم يقف على تاريخ وفاته .

(٣٠) « زهر الآس في بيوتات فاس » لعبد الكبير بن هاشم الكتاني خ ع ، د ١٢٨١ ج ١ ص ٣٦٩ .

(٣١) محمد المنوني : « الطباعة الحجرية الفاسية » ، مجلة تطوان ، العدد ١٠ ص ١٤٩ .

(٣٢) نفس المجلة والعدد — ص ١٤٦ .

(٣٣) « الاستقصا » ط دار الكتاب بالدار البيضاء ، ج ١ ص ١٢٦ .

(٣٤) هذا يؤخذ من « المقدمة » لابن خلدون ، المطبعة البهية المصرية ، ص ٣٦٦ — ٣٦٧ .

(٣٥) « المطبعة الوطنية » بالإسكندرية ، عام ١٢٩٣ هـ ج ٣ ص ٢٣٢ .

(٣٦) انظر المصحفين رقم ٣ ، ٨ من قسم المصاحف والربعات النموذجية .

(٣٧) نقله في « صبح الأعشى » ج ٣ ص ١٦٤ .

(٣٨) وقفت على عين الجزءين الكريمين في خزانة القرويين التي يديرها الأستاذ الكبير محمد العابد الفاسي الفهري ، صبيحة يوم الثلاثاء ١٩٦٨/٩/٢٤م .

(٣٩) انظر ترجمته من سلوة الأنفاس ج ٢ ص ٦٧ — ٧٠ .

هذا وقد وقع فيما قيد عن المبطي من هذا الوقف بعض كبوات ناقشه فيها

بعض العلماء المغاربة ، ومنهم محمد المهدى بن أحمد بن على بن أبى المحاسن الفاسى الفهرى ، المتوفى عام ١١٠٩ هـ / ١٦٩٨ م ، وله فى هذا الصدد رسالة سماها « الدرة الغراء فى وقف القراء » لم نقف عليها ، وقد تحدث عنها محمد ابن عبد السلام الفاسى الفهرى المتوفى عام ١٢١٤ هـ / ١٧٩٩ م ، واقتبس فقرات من أولها فى كتابه « إتحاف الأخ الأود المتدانى بمحاذى حرز الأمانى » وهو المشهور بالمحاذى ، خ . ع . ك ٣١٢ ص ٨٣ ، كما وضع هذا الأخير بدوره تأليفاً فى نفس الموضوع ، وأثبت قسما مهما منه فى كتابه المحاذى ، وتوجد منه ثلاث نسخ على حدة بالمكتبة الملكية بالرباط تحمل أرقام ١٩٥ و ١٩٥٣ و ٩٣٤٦ ، وهذا الرقم الأخير إنما يشتمل على القسم الثانى من التأليف الذى أشار إليه — أيضاً — فى سلوة الأنفاس ج ٢ ص ٦٧ ، واسمه : « الأقراط والشنوف فى معرفة الابتداء والوقوف » .

وممن انتقد وقف الهبطى من مشايخ سوس : أحمد بن عبد الله الصوابى ، المتوفى عام ١١٤٩هـ/ ١٧٣٧ م ، وقد أثبت له الحضيكى فى ترجمته ج ١ ص ٨٩— ٩٤ كلاما طويلا فى هذا الموضوع ، وجاء فى آخره : « وكان — رضى الله عنه — يخبر بأن الرجل الصالح سيدى موسى الوسكرى أول من جاء سوس بهذا الوقف الهبطى ، وأنه لا يجود به إلا لمن يردف بالقراءات ويقول : إنما وضعه واضعه لذلك ، وينهى طلبته وأولاده الذين أدركناهم أن يقرءوا به الحزب الراتب ، وأن يجودوا به للمتعلمين الذين لم يقرءوا بالقراءات » إلى أن يقول : « وهذا شيخ وقته وإمام عصره ، سيدى أحمد بن عبد العزيز السجلماسى قد تنبه لذلك ، فصار يحمل الناس على القراءة الصوابية السنية القديمة ، وألف على خطأ هذه الحادثة وفسادها » .

(٤٠) فيما شرح من دلائل الخيرات للجزولى ، خ . ع ، ك ١٥٣٢ ص ١٧٩— ١٨٠ وفى القاموس وشرحه : والربعة بالفتح الجونة : جونة العطار ، وأما الربعة بمعنى صندوق فيه أجزاء المصحف الكريم ، فإن هذه مولدة لا تعرفها العرب ، بل هى اصطلاح أهل بغداد ، أو كأنها مأخوذة من الأولى ، وإليه مال الزمخشرى فى الأساس » ، « تاج العروس » ج ٥ ص ٣٤٣ .

(٤١) مؤلفه أبو عمرو بكر بن إبراهيم بن المجاهد اللخمى الإشبيلى ، وقد نشر نص هذه الرسالة بعناية الأستاذ الكبير عبد الله كنون ، فى صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ، فى مدريد ، المجلدان السابع والثامن « مزدوج » ، سنة ١٩٥٩ — ١٩٦٠ مع مقدمة وتعاليق وفهرس للمواضيع ص ١ — ٤٢ .

(٤٢) مجلة « هسبريس » المجلد ١٧ ، العدد ٢ ، سنة ١٩٣٣ م ص ١٠٩ — ١٢٧ ، حيث درس أربعة أسفار موحدية ، فيها ثلاثة تكسو الأجزاء ٤ ، ٩ ، ١٠ من ربعة المرتضى الموحدى .

(٤٣) فى رسالة مطولة فى « نفح الطيب » ، « المطبعة الأزهرية المصرية » ، سنة ١٣٠٢ هـ ج ١ ص ٢٨٧ إلى ٢٨٨ ، مع إضافات من « الذيل والتكملة » مخطوط المكتبة الملكية بالرباط رقم ٢٦٩ ج ١ ص ٨٣ ، و « الحلل الموشية » ط . تونس ص ١١٦ .

(٤٤) « الذيل والتكملة » المخطوط الآنف الذكر ، ج ١ ص ٨٤ ، مع إضافات من « البيان المغرب » لابن عذارى ، ط . تطوان ، ص ٩٢ . والحلل الموشية ص ١١٦ .

(٤٥) المراد به عمود منتفخ الوسط ، انظر ملحق المعاجم العربية لدوزى ج ١ ص ٢١٢ .

(٤٦) « تاريخ المن بالإمامة » تحقيق الأستاذ الفاضل عبد الهادى التازى ، نشر دار الأندلس ، لبنان ص ٤٣٩ — ٤٤٠ .

(٤٧) هذا يؤخذ من بقايا وقفية مكتوبة على كل من الجزءين : الأول والرابع من هذه الربعة التى سنتحدث عنها بعد .

(٤٨) ج ٧ ص ٢٢٦ .

(٤٩) ج ٧ ص ٢٦٥ .

(٥٠) هو الأستاذ الجليل عبدالله مخلص فى صحيفة « الفتح » السنة الخامسة ، العدد ٢٣٧ .

(٥١) البستان الظريف للزيانى عند حوادث عام ١١٥٥ هـ .

(٥٢) اسمها الكامل : « درة السلوك وريحانة العلماء والملوك » تأليف الأمير عبد السلام الضرير بن السلطان محمد الثالث — القسم السادس منها ، مخطوطة خاصة .

(٥٣) محمد المنونى : « العلوم والأدب والفنون على عهد الموحدين » ص ٢٨٧ — ٢٨٨ .

(٥٤) سبق فى التعليق رقم ٤٢ ذكر مرجع الدراسة التى قام بها م . ب ريكار عن ثلاثة أسفار لأجزاء هذه الربعة : الرابع والتاسع والعاشر .

(٥٥) هناك دراسة لوقفية الجزء الرابع من هذه الربعة قام بها الأستاذان : كاستون دوفيردان ومحمد بن عبد السلام الغيانى ، مجلة هسبريس ، المجلد ٤١ ، عام ١٩٥٤ ، ص ٤١٤ — ٤١٧ .

(٥٦) انظر صبح الأعشى ج ٣ ص ١٥١ .

(٥٧) لوحة التاريخ ضاعت من هذا الجزء ، ووردت صورتها ضمن دراسة الأستاذين : دوفيردان والغيانى ، المشار إليها عند التعليق رقم ٥٥ .

(٥٨) هذه العلامة تشير إلى نهاية السطر حسب كتابته فى خاتمة الجزء الموصوف، وسنسير على إثباتها عند تقديم الخواتم الأخرى للربعات أو المصاحف الشريفة التى تناولتها هذه الدراسة ووقفت عليها مباشرة .

(٥٩) انظر — مثلا — روضة النسرين لابن الأحمر، المطبعة الملكية بالرباط ص ٢٣ — ٢٤ .

(٦٠) هكذا ورد فى المصدر الآتى وشيكا ، والذى أثبت نص الكلمة الختامية ، ولعله أواخر ذى الحجة هو تاريخ الجزء الأخير لهذه الربعة .

(٦١) عبد الله مخلص : « المصحف الشريف » صحيفة « الفتح » السنة الخامسة ، العددان : ٢٣٧ و ٢٣٨ .

(٦٢) المخطوط السالف الذكر — ص ١٧٨ .

(٦٣) ورد ذكرها فى « الاستقصا » ج ٥ ص ٦٨ .

(٦٤) كان وزيراً لعمه عبد الله الغالب الذى استخلفه بمكناس ، ثم قتله فى

٢٠ جمادى الثانية عام ٩٧٥ هـ /١٥٦٧ م ، وكان شجاعاً اديباً يقول الشعر ، انظر عنه « درة الحجال » رقم ٦٤٣ و « تاريخ الدولة السعدية » لمؤرخ مجهول الاسم ، نشر جورج كولان — ص ٣٣ — ٣٥ مع « الاستقصاء » ج ٥ ص ٥٥ — ٥٧ .

(٦٥) انظر عنه — مثلا — « الاستقصا » ج ٥ ص ٣٨ — ٥٧ .

(٦٦) ص ٤٣ ، رقم ٦٨ ، حسب ترجمة الأستاذ حسن إبراهيم غرزو ، المحاضر الأول فى كلية عبد الله بايرو — جامعة أحمد ، فى نيجيريا .

(٦٧) انظر عنه — مثلا — « الاستقصا » ج ٥ ص ٨٩ — ١٩٤ .

(٦٨) ص ٣٤ — ٣٦ .

(٦٩) لم أقف على ترجمته .

(٧٠) فهرس دار الكتب المصرية ج ١ ص ٢ .

(٧١) ترجمته فى «إتحاف أعلام الناس» ج ٢ ص ٣٢ — ٤١ ، مع «فواصل الجمان » لمحمد غريط ص ١٤٢ — ١٦٢ ، و « الاغتباط بتراجم أعلام الرباط » لمحمد بوجندار ، مخطوط خ . ع ، د ١٢٨٨ — ج ٢ ص ٣٨ — ٤١ .

ملاحظة : الموافقة بين التاريخين مأخوذة من :

Taples De Concondances des ères Chrétienne, Hethégirienne, Troisième Editions Editions Techniques Nord - Africaines.